20 me. année No 982

Le Caire 28 — 4 — 1952

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٨٢ «القاهرة فى يوم الاثنين ٤ شعبان سنة ١٣٧١ — ٢٨ أبريل سنة ١٩٥٢» — السنة العشرون

لابد للاسلام من مؤتمر

ذلك عنوان مقال كتبته فى مارس من عام ١٩٤٢ ، ونار الحرب العالمية الاستعمارية تستعر فى مواطن الإسلام وأقطار العروبة ، والمسلمون والعرب يصلونها ولارأى لهم فيها ، ولاوجهة لهم منها ؛ وإنما كانوا وما زالوا كعبيد الأرض ، يملكهم من يملكها ، ويستغلهم من يستغلها

أهبت فى تلك الكلمة برجال الدين — وهم المسئولون الأولون عن تنبيه المشاعر وتوجيه القلوب — أن يكون لهم ما للمبشرين والمستعمرين والمستشرقين من مؤتمرات تعقد العام بعد العام فى الدولة بعد الدولة . وذكرتهم أن الله قد فرض على المسلمين مؤتمرا سنويا بمكة حين فرض عليهم الحج ؛ لأنى لا أعلم لحج البيت وهو ركن من أركان الإسلام الخمسة ، حكمة أسمى من اجتماع المسلمين من فجاج الأرض وآفاقها فى وقت واحد، على صعيد واحد، ليتذاكروا فى أمور دينهم ، ويتشاوروا فى شؤون دنياهم . ولقد قلت فيما قلت : « لابد للاسلام من مؤتمر يجمع زعماء الرأى فى أهله ، ليجددوا ما درس منه ، ويوضحوا ما التبس فيه ، وينفوا عنه ماغشيه من أساطير القرون وأضاليل النحل ، ويجلوه للناس كما كان ، صالحا للحياة ، كافلا للفوز ، ضامنا للسعادة . وليس مما نطمع فيه أن يجتمع هذا المؤتمر اليوم ؛ فإن الزلزلة التى لا تنفك آخذة بأقطار الأرض وأفكار الناس تجعل المقبل والمدود من دونه ؛ ولكنا نطمع أن يفكر أولو الأمر فيه ويهيئوا الأسباب له ؛ حتى إذا عادت السلم وتحلق زعماء الأمم حول الموائد الخضر لإقرار السلام الدائم ، واختيار النظام اللازم ، اجتمع كذلك علماء الإسلام ليعرضوا على العقول الحائرة والأجسام الخائرة نظام الله ، خالصا كما أوحاه ، صافيا كما أنزله . ثم لابد للاسلام من مؤتمر يقيم بين البهرج والصحيح حدا من نور الحق يجتمع عليه القطيع الشارد ، ويهتدى إليه الركب الضال . ولكن ليت شعرى من الذى يفكر فى هذا المؤتمر ويعمل له ويدعو إليه ؟ لقد عقدنا الآمال بالأزهر فى كل ذلك ، فهل عقدناها بلعاب الشمس ؟ إن علماء الدين هم الطوائف التى نفرت من كل فرقة ليتفقهوا فى الدين وينذروا قومهم . فإذا تفقهوا ولم ينذروا ، أنكروا ما خلقوا له ، وعصوا ما أمروا به . وليس الإنذار أن يلهجوا بذكر الحساب والعذاب ، وإنما الإنذار أن ينبهوا الغفلى ، ويوجهوا الحائر ، ويرشدوا الغوى ، وينصبوا فى مجاهل الأرض أعلام الطريق »

ذلك بعض ما قلناه منذ عشر سنين فى هذا المعنى فلم يستجب له اليوم غير الباكستان ! والباكستان مشرق من مشارق الشمس سيسطع فيه الإسلام من جديد ، فتمشو على أضوائه الهادية أمة السلام والتوحيد !

احمد حسن الزيات

حسن البنـــا

الرجل القرآنى

للأستاذ أنور الجندى

« أشهد أنى لم أغير شيئا من « روح » كتابات « روبيرجا كون » — الكاتب الأمريكى لذى التق بالمغفور له الأستاذ حسن البنا سنة ١٩٤٦ واجتمع به طويلا — ولكنى أخذت (معالم) كتاباته وملاحظاته وخطوط بحثه ، كما أرسلها الى صديق يطلب العلم فى (واشنطون) ، وأضفيت عليها من الأسلوب الأدبى ما يجعلها قريبة من مستوى (الرسالة) « ا . ج »

لم أكن أظن أن الوقت قد حان بعد للكتابة عن رجل هز تاريخ مصر والشرق الحديث هزة قوية ، تركت فيه آثارا حية لا يمكن إنكارها أو تجاهلها أو النقض من قدرها ، هى تلاميذه وحواريوه الذين لا يزالون على درجة من القوة والفاعلية

كنت أظن أن أمر هذا الرجل سيظل إلى وقت ما مبهما ، يراه بعض الناس قديسا من القديسين ، ويراه غيرهم طاغية من الطغاة ؛ ولكن الحوادث فى مصر قد أسرعت فأعادت إلى « الإخوان » مظهرهم الذى تجلى فى صورة من القوة ، أعادت إلى الأذهان أثرهم المعروف فى توجيه الحياة السياسية والاجتماعية فى مصر

وقد اختلف الناس فى أمر كل «عظيم» وعبقرى ونابغة ، ولم يجتمعوا على رأى فيه مادام حيا ، ولكن الموت يحسم الأمر دائما ، ويصرف عن صدور الناس أوهامها ويردها إلى شئ من الحق ، فتحكم متجردة من الهوى

وكان ضروريا أن يختلف الناس فى هذا الرجل ، وكان حتما أن تفيض بعض النفوس بضروب من الحقد والحسد نحو رجل استطاع أن يجمع حوله الناس ، وأن يؤلف بين طائفة ضخمة من الأتباع ، بسحر حديثه ، وجمال منطقه ، وروعة بيانه ، فتنصرف هذه المجموعة الضخمة من حول الأحزاب ، والجماعات ، والفرق الصوفية ، وتنضوى تحت لوائه ، وتطمئن له وتثق به

كان هذا مثار حسد الناس ، ومثار حقد بعض ذوى الرأى ، وكان خليقا بهم أن ينقموا وأن يحسدوا هذا الرجل المتجرد ، الفقير ، على أنه استطاع أن يجمع الناس إليه بوسائل غاية فى البساطة واليسر ، وهى لباقته وحسن حديثه .. فيرفعهم فوق المطامع المادية ، التى يجتمع عليها الناس عادة

وكان طبيعيا أن يتنكر له بعض الناس ، وأن يذيعوا عنه بعض الرجفات ، فليس أشد وقعا فى نفوسهم من أن يسلبهم أحد سلطانا كان لهم . وليس أبعد أثرا فى نفوسهم أن يجئ رجل من صميم الشعب ليجمع الناس حوله باسم القرآن ، ويقول لهم إن الله قد سوى بين الناس بالحق ، وجعل فضيلتهم عنده على أساس العمل والتقوى

خيل إلى بعد أن انطوت حياة الرجل على هذه الصورة العجيبة ، وثار حولها ذلك الغبار الكثيف ، أن وقتا طويلا يجب أن يمر قبل أن يقول التاريخ الحق كلمته ، ويروى المؤرخ النزيه قصته

غير أن الظروف السياسية فى مصر سرعان ما تغيرت ، وأمكن أن يكشف التحقيق فى بعض القضايا بطلان كثير مما وصمت به دعوة الإخوان من ادعاءات ، وأن يبرأ جانب هذا الرجل بالذات فيبدو نقيا طاهرا

وكنت قد التقيت بالرجل فى القاهرة سنة ١٩٤٦ ، ثم عدت إلى القاهرة مرة أخرى سنة ١٩٤٩ بعد أن قضى ، وحاولت أن أتصل ببعض الدوائر التى تعرفه فسمعت الكثير مما صدق نظرتى الأولى إليه

فقد علمت أنه كان فى أيامه الأخيرة يحس بالموت ، وكان الكثير من محبيه ينصحه بالهجرة أو الفرار ، أو اللياذ بتقية أو خفية ؛ فكان يبتسم للذين يقصون عليه هذه القصة وينشد لهم شعرا قديما :

أى يومى من الموت أفر   يوم لا قدر أم يوم قدر
يوم لا قدر لا أرهبه   ومن المقدور لا ينجو الحذر

وكان لا ينى لحظة عن محاولة استخلاص أنصاره من الأسر ، وكان يبلغ به الأمر مبلغه ، فيستيقظ فى الليل ، ويضع كلتا يديه على أذنيه ، ويقول : إنى أسمع صياح الأطفال الذين غاب آباؤهم فى المعتقلات

ooo

إن تاريخ جهاد « الرجل القرآنى » طويل . . ولكن أخصب سنواته أيام الحرب . . منذ أن خرج من المعتقل عام ١٩٣٩ ، فى هذا الوقت الذى شغلت الحرب الدنيا جميعها ، عن الأحزاب ، وعن السياسة ، وعن كل شئ ، كان الرجل لا ينام ، كان يسعى ويطوف ويذهب إلى كل قرية وكل نجع وكل دسكرة يفتش عن الشباب ، ويحدث الشيوخ ، ويتصل بالعظماء والعلماء ، ويوماً بهر الوزراء ، وأعلن بعضهم الانضمام إلى لوائه الخفاق ، وجيشه الجرار

وحاول الإنجليز أن يقدموا عروضاً سخية . . فرفضها الرجل فى إباء . ونامت الأحزاب فى انتظار الهدنة ، وظل الرجل الحديدى الأعصاب يعمل أكثر من عشرين ساعة لا يتعب ولا يجهد ، كأنما صيغت أعصابه من فولاذ

لقد كان يحب فكرته حباً يفوق الوصف ، ولم يكن فى صدره شئ يزحم هذه الدعوة . كان يعشق فكرته كأنما هى حسناء لا يجهده السهر ، ولا يتعبه السفر ، وقد أوتى ذلك العقل العجيب ، الذى يصرف الأمور فى يسر ، ويقضى فى المشاكل بسرعة ، ويفضها فى بساطة ، ويذهب عنها التعقيد .

كان لا يحتاج إلى الإسهاب ليفهم أى أمر ، كأنما لديه أطراف كل أمر ، فما أن تلق إليه أوائل الكلمات حتى يفهم ما تريد ، بل أحياناً كان يجهر بما تريد أن تقول له ، ويفتى لك فيما تريد أن تسأل عنه

كان نفاذ البصيرة ، نقادها ، يرى ما وراء الأشباح ، فيه من ذلك السر الإلهى الصادق قبس

كان يلتهم كل شئ ، لا تجد علماً ولا فكراً ولا نظرية جديدة فى القانون ، أو الاجتماع أو السياسة أو الأدب ، لم يقرأها ولم يلم بها ، ولم يحاول أن يفيد منها لدعوته وفكرته

ولم تكن هناك دعوة ولا نزعة ولا رسالة ، مما عرف العالم فى الشرق أو فى الغرب ، فى القديم أو فى الحديث . . لم يبحثها أو يقرأها أو يدرس أبطالها ، وحظوظهم من النجاح أو الفشل ، أو يحمل منها ما يصلح لتجاريبه وأعماله

كان يقول كل شئ ، ولا تحس أنه جرح أو أساء . . وكان يوجه النقد فى ثوب الرواية أو المثل ، وكان يضع الخطوط ويترك لأتباعه التفاصيل

كان قديراً على أن يحدث كلا بلغته وفى ميدانه وعلى طريقته ، وفى حدود هواه ، وعلى الوتر الذى يحس به ، وعلى « الجرح » الذى يثيره

ويعرف لغات الأزهريين والجامعيين والأطباء والمهندسين والصوفية وأهل السنة ، ويعرف لهجات الأقاليم فى الدلتا وفى الصحراء وفى مصر الوسطى والعليا ، وتقاليدها ، بل إنه يعرف لهجات الجزارين والفتوات ، وأهالى بعض أحياء القاهرة الذين تتمثل فيهم صفات مميزة بارزة ، وكان فى أحاديثه إليهم يروى لهم من القصص ما يتفق مع ذوقهم وفهمهم

بل كان يعرف لغة اللصوص وقاطعى الطرق والقتلة ، وقد ألقى إليهم مرة حديثاً

وهو يستمد موضوع حديثه — أثناء سياحاته فى الأقاليم وفى كل بلد — من مشاكلها ووقائعها وخلافاتها ، ويربطه فى لباقة مع دعوته ومعالمها الكبرى ، فيجئ كلامه عجباً . . يأخذ بالألباب

كان يقول للفلاحين فى الريف « عندنا زرعتان . . إحداها سريعة النماء كالقثاء ، والأخرى طويلة كالقطن »

لم يعتمد يوماً على الخطابة ، ولا تهويشها ولا إثارة العواطف على طريقة الصياح والهياج . . ولكنه يعتمد على الحقائق ،

كلمة أخرى

للأستاذ علي الطنطاوي

سيدي الأستاذ عبد الجواد رمضان

ما تشرفت بمعرفة شخصك، ولكن تشرفت بتلاوة فضلك الذي يدل على فضلك ونبلك، وأنا أعترف يا أستاذ أني لم أقرأ مقالات أخي الأديب الضليع الأستاذ محمود شاكر في (المدلون) ولم أطلع إلا على الجزء الأول من هذه المجلة، ولست مشتركاً فيها (مع الأسف)، ولا تباع في مكتبات دمشق فأراها، ولا أقول بذم أحد من الصحابة فضلاً عن القول بكفره والعياذ بالله أو نفي الإسلام عنه، ولا أنتقص بني أمية أقدارهم ولا أسلبهم فضائلهم، ولئن كنت كتبت مقالة في تمجيد بني أمية بالحق، لأ كتبن مقالة في تقدم بالحق. وما بنو أمية ولا غير بني أمية، ولا شيء في الدنيا إلا وفيه ما يمدح وما يذم، والكمال المطلق لله وحده، والعصمة للأنبياء. ولقد قال مثل مقالتي رجل فأنكرها عليه، ثم قبلها منه — من هو خير مني ومنك، ومن أهل الأرض: محمد رسول الله، حين قال له الرجل: يارسول الله، رضيت فقلت أحسن ما علمت، وغضبت فقلت أقبح ما علمت

فقال الرسول صلوات الله عليه: إن من البيان لسحرا

فليس يرد على ما أوردته من فضل معاوية ومناقبه، ولست أنكره، ولكن قل لي: هل تنكر أنت أن معاوية بشر يخطيء ويصيب؟ وهل تنكر أن الاسلام حجة على معاوية، ومعاوية ليس حجة على الاسلام؟

فا حكم الاسلام في البدعة التي ابتدعها معاوية؟

هذا هو موضوع الكلام

* * *

لقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يستخلف، واستخلف أبو بكر، وتركها عمر لمجلس الستة، كل هذا معروف ولكن هل نال عمر الخلافة بعهد أبي بكر؟

لا يا أستاذ. وهذه الأخبار استقصيتها في كتابي (أبو بكر) وكتابي (عمر) وقد جمعت فيه ما تفرق من سيرة عمر في سبعين ومئة كتاب، وعزوت كل جملة فيه إلى مصدرها، والأخبار كلها على أن أبا بكر لما أحس الموت أمر الناس أن يختاروا لأنفسهم، فتركوا ذلك إليه، فاختار لهم عمر وعرض ذلك

وهو يستثير العاطفة بإقناع العقل، ويلهب الروح بالمعنى لا باللفظ، وبالهدوء لا بالثورة، وبالحجة لا بالتهويش

ويعد «الحديث» عند بعض الناس آيته الكبرى، غير أني علمت من بعض المتصلين به.. أنها آخر مواهبه، فقد كان أبلغ مواهبه القدرة على الإقناع، وكسب «الفرد» بعد «الفرد» فيربطه به برباط لا ينفصم، فيراه صاحبه صديقاً خاصاً، وتقوم بينه وبين كل فرد يعرفه صداقة خاصة خالصة، يكون معها في بعض الأحيان مناجاة، وتنتقل بالتعرف على شؤون الوظيفة والعمل والأسرة والأطفال

وهذه أقوى مظاهر عظمته، فهو قد كسب هؤلاء الأتباع فرداً فرداً، وأصاب منابع أرواحهم هدفاً هدفاً، وإن لم يكسبها جملة ولا على صفة جماعية، وقد استطاع بحصافته وقوته وجبروته أن ينقلها من عقائدها وأفكارها، سواء أكانت سياسية أم دينية، إلى مذهبه وفكرته.. فتنسى ذلك الماضي، بل وتستغفر الله عنه، وتراه كأنما كان إثماً أو خطأ

ومن أبرز أعمال هذا الرجل، أنه جعل حب الوطن جزءاً من العاطفة الروحية فأعلى قدر الوطن وأعز قيمة الحرية، وجعل ما بين الغني والفقير حقاً وليس إحساناً، وبين الرئيس والمرءوس صلة وتعاوناً وليس سيادة، وبين الحاكم والشعب مسئولية وليس تسلطاً

وتلك من توجيهات القرآن، غير أنه أعلنها هو على صورة جديدة لم تكن واضحة من قبل

(يتبع) أنور الجندي

عليهم فقبلوا به ، فلما مات بايعوه فصار خليفة بالبيعة ، أى بالانتخاب الحر ، لا بالعهد ، وكذلك كان عثمان بن عفان خليفة من بعده بالبيعة . إن الاسلام لم يحدد أسلوب الحكم ، وترك ذلك لرأى الأمة ، ولكنه وضع أساساً لا يمكن إقامة الأمر إلا عليه ، وهو الشورى والانتخاب الحر ، فإذا انتخبت الأمة رجلا وبايعته حرم الخروج عليه ، ومنازعته الأمر ، لئلا تعم الفوضى ، والفوضى أكبر ضرراً على الأمة من الاستبداد

ومعاوية جاء ببدعتين :

الأولى : أنه انصرف عما وضع فى عنقه من أمانة الحكم ، والنظر لمصلحة الأمة ، إلى تمهيد الأمر لابنه يزيد من بعده ، جمع لذلك فكره ، وسخر لذلك ماله وسلطانه ، فصارت سنة من بعده ، أدت إلى إضاعة أمر المسلمين بانصراف الخليفة عنه إلى أمر ولده ، وإلى تولية من لا يصلح للولاية

الثانيـة : أنه حول الانتخاب الاسلامى الحر الصحيح إلى نوع من الترغيب والترهيب والتدخل ، ولو أن المسلمين كانوا أحراراً فى انتخاب من يخلف معاوية ما انتخبوا يزيد ، ولا يخلو من فضائل . ولكن هل كان يزيد أتقى الناس ؟ أو هل كان أعلم الناس ؟ أو هل كان أحق الناس بالخلافة ؟

وهل سار يزيد بالدولة سيرة أبى بكر وعمر ؟ أم أظهر المحرمات ، وجرأ الناس على الباطل ؟ ومن أطلق لسان الأخطل الشاعر النصرانى فى أنصار رسول الله إلا يزيد ؟ من فعل بالمدينة مالا تفعله الروم والمغول إلا يزيد ؟

إنه إذا قيل عن الأسود أبيض ، يقال عن الأبيض لا محالة أسود . فإذا كانت حكومة يزيد وأمثاله حكومة إسلامية ، فإن حكومة عمر لا تكون إسلامية ، لأنهما متناقضان مختلفان

وإذا كان عهد معاوية إلى يزيد من الإسلام ، فإن صرف عمر الأمر عن عبد الله ليس من الإسلام . هذا إن كانا متشابهين متكافئين ، فكيف وهذا يزيد ، وذاك عبد الله !

° ° °

وأنت تذكر يا أستاذ أن الذى قال عن معاوية ، لقد جعل الأمر كسرويا قيصريا ليس على الطنطاوى ! وأنت تعلم يا أستاذ رأى عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين فى أهله من بنى أمية ، وفى حكمهم ، وفى الحجاج وأمثاله خاصة !

وأنا أشكر لك نصحك الناس ألا يلوثوا ألسنتهم بدماء القوم ، وأنا أول من يسمع هذا النصح ، وما بى والله عداوة الأمويين ، ولا محبة غيرهم ، ولكن المقام مقام الدفاع عن الاسلام ، ببيان حكمه فى حكم بنى أمية ، لئلا يحمل أحد سيرتهم على الدين فيقتدى بهم ، فيضل عن سبيل الحق

على الطنطاوى

بحث في الموسيقى الشرقية

للأستاذ نقولا الحداد

الموسيقى: فلسفة وعلم وفن.. فهى إذن بنت الطبيعة والفكر والاجتماع، فلابدع أن يعنى بها الفلاسفة والعلماء وأصحاب الفن ويضعوا لها قواعد وقوانين، بل هى أولى من كل ظاهرة كونية للدرس والتقرير والاستنباط

والصوت منذ القديم من قبل التاريخ مستند الإنسان فى التعبير عن عواطفه وميوله وآماله . هو أصدق آلة للتعبير . فبالأحرى أن تكون الأنغام والألحان أداة لتفسير ما يطرأ على النفس من شعور داخلى . ولا بدع أن يتصدى علامة فى الأنغام لشرح القوانين الموسيقية من جميع نواحيها ، ويبحث البحث الفلسفى فى شؤونها ، ويدرس الدرس الفنى للأنغام والألحان والتطاريب

لابدع أن يتصدى لهذا البحث العلامة الأستاذ ميخائيل خليل الله ويردى فيؤلف كتاب فلسفة الموسيقى الشرقية فى أسرار الفن العربى . ولعله من قبيل التواضع لم يقل فلسفة الموسيقى الشرقية والغربية على الإطلاق وكل ما يمت للموسيقى بسبب . وقد ملأ فى هذا البحث نحو ٧٠٠ صفحة من القطع الكبير ، وتواردت إليه رسائل من كبار العلماء وكبار الساسة وكبار الكهنوت من أمم مختلفة من الشرق والغرب مثنين على كتابه . وكان أهم هذه الرسائل رسالة من العلامة العظيم جوليان هكسلى مدير مؤسسة اليونسكو العالمية يشكر له فيها مجهوده الهائل فى إخراج هذا الكتاب الفذ ، ويعده فيها أنه متى بلغ مشروع اليونسكو أشده سيعمل على ترجمة كتابه هذا إلى اللغة الأكثر شيوعا لكى تكون فوائده واسعة النطاق

وقد رد المسيو جيم توريس جوده المدير العام لمنظمة اليونسكو على كتاب المؤلف المصحوب بنسخة من الكتاب الذى نحن بصدده وعلى نسخ من محاضراته عن الموسيقى فى بناء السلام العام يبلغه فى رده أن المؤسسة العالمية لليونسكو مهتمة الاهتمام التام الذى أثاره عمله لديها . وقد رشح الأستاذ خليل الله ويردى لجائزة نوبل ، واهتمت هذه المؤسسة بهذا العمل الجليل، ووعدت بالالتفات الذى يستحقه عمله ، وهى ترى أن ترجمة الكتاب إلى اللغة الإنجليزية أو الفرنسية يسهل عمل الحكمين . وحبذا لو تصدى أحد الأدباء للترجمة وخابر الأستاذ خليل المؤلف فى هذا الشأن واتفق معه على الترجمة . ولا ريب أن ترشيح اليونسكو للمؤلف لدى منظمة نوبل هى خطوة شريفة قد تؤدى إلى الحصول على الجائزة التى ليست مقصودة بالذات من عرض الكتاب على المؤسسة؛ بل المقصود هو الحصول على هذا الشرف الكبير الذى سيتمتع به العالم العربى كله

الموسيقى العالمية

بحث الأستاذ خليل الله ويردى فى الموسيقى عند جميع الأمم الغربية والشرقية الدنيا والشرقية القصوى . وطرق الموضوع من جميع أبوابه ولم يترك فيه شاردة ولا واردة . وأسهب جدا فى السلالم الموسيقية على اختلاف أنواعها وأوطانها ، لأن السلالم هى نوى الموسيقيات وهى ينبوع الألحان وروح التطريب والطرب

السلم الموسيقى (أو الموسيقية) ليست غريزة طبيعية فى أصل هذا الفن البديع الجميل، بل هى نزعة وطنية أو إقليمية . وليست من حتميات الطبيعة، إلا أن للسلم طرفين : قراراً وجواباً ، وكل منهما ضد للآخر . هذا ومن سنن الطبيعة أن يكون بين القرار والجواب تجاوب أو اتفاق فى الاهتزازات الهوائية الصوتية بحيث يكون الثانى مضاعف الأول فى عدد الاهتزازات ، وبين الطرفين سلم يتدرج فى نغمات يسميها بعض الموسيقيين مقامات . ويمكن أن يصعد السلم من جواب لجواب أعلى فيصبح الجواب الأول قراراً للجواب الأعلى وهكذا دواليك . فيترق السلم إلى سلالم متوالية كل منها جواب لما تحته وقرار لما فوقه . وقد ينتج من هذا الارتقاء سبع سلالم على الأقل كما هو الأمر فى البيانو الاعتيادى

وتختلف النغمات أو المقامات باختلاف ذبذبات الوتر أو اهتزازاته ، أو اهتزازات عمود الهواء المنفوخ في القصبة أو أية أنبوبة موسيقية حين تعزف أو تنقر . والشيء الطبيعي في درجات السلالم هو أن ذبذبات أية درجة هي مضاعف ذبذبات الدرجة التي تقابلها في السلم الذي تحته . وفي جميع الموسيقيات المعروفة في الغرب والشرق السلم ذو السبع درجات الأصلية، وقد يتفرع منها أجزاء درجات كأنصاف وأرباع وأثمان و$\frac{1}{24}$ كما سيأتي بيانه . وللغناء عند القبائل الهمجية سلالم بسيطة جدا قد لا تبلغ سبع درجات حتى ولا أربع درجات . والله أعلم

ولا أدري إن كان تقسيم السلم إلى سبع درجات تقسيما طبيعيا. ولعله طبيعي لأن للنور سلالم موجية على مثال السلالم الموسيقية ، وكل سلم نوراني هو جواب لما تحته وقرار لما فوقه إذا شبهت هذا بذاك . لأن في الطبيعة إشعاعا كهرطيسيا ذا تموجات مختلفة الطول والمدد في الوقت . وهي تموجات أثيرية على حد تموجات الهواء الصوتية والموجات الكهرطيسية طبقات ؛ وكل طبقة هي مضاعف الطابقة التي تحتها في الموجات

ولنا أن نسمي كل طبقة كهرطيسية سلما كالسلم الموسيقي . وفي الطبيعة ستون سلما كهرطيسيا . ولكننا لا نرى منها إلا سلما واحداً هو سلم النور فقط والباقية اكتشفناها بالآلات المختلفة . ولا نعرف سلم النور إلا بألوانه الرئيسية السبعة من الأحمر (وهو الأسفل) والبرتقالي والأصفر والأخضر والأزرق والنيلي والبنفسجي (وهو الأعلى) ، وموجاته هي ضعفا موجات الأحمر ، ولكن طول موجة الأحمر هي مضاعف طول موجة البنفسج ، ولهذا يسيران معا في وقت واحد . على أننا لا نراها إلا لونا واحداً هو الأبيض ، ولا نراه إلا منحلا إلى ألوانه السبعة إذا نفذ في زجاجة الوشور أو في قطرات قوس قزح . هذه الألوان السبعة ليست في الموجات الأثيرية بل هي في خليات أدمغتنا البصرية ، فالخلية التي تنفعل من ذبذبة إحدى الموجات تصدر اللون المطابق لها . ولا نرى ما فوق البنفسجي وما تحت الأحمر إلا بواسطة آلات بصرية ، كالنور الذي فوق البنفسجي، والنور الذي تحت الأحمر . وكذلك الأشعة السينية (أشعة رنتجن) . فبين الصوت والكهرطيسية تشابه قريب في عدد الدرجات السبع . في كليهما هذا العدد ٧ هو شيء طبيعي على الرغم من أن بين الدرجات سواء في الصوت أو في النور أجزاء درجات أخرى لا تحصى ، وهي سر تعدد الألوان كما هي سر تعدد الألحان ، ويظهر أن الذين اتفقوا على السبع درجات في سلم صوتي أو نوراني رأوا أن هذا الرقم مقدس ، لأن الله خلق فيه العالم واستراح في اليوم السابع

الأنصاف والأرباع

المعروف في جميع الموسيقيات الغربية والشرقية أن للسلم سبع درجات يعتبرونها أصلية ، ويتفرع منها على قولهم أنصاف ، وفي الموسيقى العربية أرباع ، وربما أثمان أيضا . وفي اليونانية $\frac{1}{24}$. والحقيقة أن الدرجات ليست درجات متساوية ولا أنصافها حقيقية والأرباع كذلك . وإليك البيان :

امتزازات الأنصاف

٥١ ٥٧ لا نصف لها ٦٨ ٧٦ ٨٢ لا نصف هنا

دو ری می فا صول لا سی دو

امتزازات السلم الأدنى ٢٤ ٢٧ ٣٠ ٣٢ ٣٦ ٤٠ ٤٥ ٤٨

« « الأعلى ٤٨ ٥٤ ٦٠ ٦٤ ٧٢ ٨٠ ٩٠ ٩٦

الفروق بين الدرجات الأصلية والأنصاف

٦ ٦ ٨ ١٠ ٦

في الفلسفة الطبيعية Physics ذبذبات أو اهتزازات درجات السلم الأصلية منحطة إلى أسفل سلم الاهتزازات في الثانية ، تتراوح الفروق بينها بين ٢ و ٥ كما رأيت فيما تقدم . وهو أمر يدلك على أن الدرجات غير متساوية في الارتفاع والانخفاض وليست هي أنصافاً كما يزعمون . هذا السلم مدون في جميع كتب الطبيعيات لأنه هو هو بعينه في كتابين لمؤلفين أمريكيين مختلفين في الناحية . ولا أظن كتب الطبيعيات في أوروبا تختلف عنهما من هذا القبيل

هذا السلم هو أوطأ سلم يمكن أن يسمع . ولا أدري إن كان ذا وقع موسيقي في الأذن إذا عزف . ولكي نرى نصف الدرجة عدداً صحيحاً نزلنا إلى السلم الذي هو فوقه . ومعلوم أن امتزازات درجات السلم الأعلى مضاعف امتزازات درجات السلم

الأوطأ كما رأيت في الجدول هكذا ترى في البيانو مثلا ليس بين « مى » و « فا » إصبع أسود ولا ترى بين « سى » و « دو » الأخرى (الجواب) إصبع أسود، وأما بين بقية الأصابع الأخرى البيضاء أصابع سوداء وهي ما يسمونه أنصاف درجات وما هي أنصاف، كما ترى أن الفروق بين الدرجات الأصلية البيضاء ليست متساوية هي ٦ و ٤ و ٨ و ٨ و ١٠ و ٦ في السلم كله، ولا أدري كيف يعتبرونها أنصافا . على أن الذين يشدون أوتار البيانو أو يدوزنونها يعتمدون على السماع لأن أوتار أعصابهم السمعية تدوزنت على سلم البيانو أو السلم الأفرنكي

وكذلك الذين يدوزنون الآلات الوترية العربية ، العود والكمنجة والقانون ، يعتمدون على آذانهم كما يعتمدون عليها في العزف من غير اعتماد على علامات (نوتات) ، وهي مهارة عجيبة مدهشة لأنهم يعزفون جميع الألحان من غير الاستعانة بنوتات . وجل ما يحتاجون إليه في الدوزنة هو إما صفارة تصدر صوت نغم واحد يعتبرونه درجة (دو) ويجرون عليه في ضبط سائر الدرجات اعتماداً على آذانهم أو يعتمدون على أداة معدنية ذات شعبتين فينقرون الشعبتين فتصدران صوتاً يحسبونه درجة دو

وأما في ضبط أبعاد الدرجات بعضها عن بعض (وأعني ضبط اهتزازاتها) فقد اعتمد الموسيقيون العلماء على قياس الوتر المشدود بحسب طوله، فاعتبروا الوتر الذي طوله متر إذا عزف كان صوته دو . فإذا أمسك في وسطه تماما كان صوت الذي يصدر من نصفه دو أخرى هي جواب لدو الأولى، ثم يقسم النصف إلى درجات حسب اصطلاحهم. وكان عند اليونان آلة لقياس الصوت تسمى مونوكورد أي ذات الوتر الواحد . ولا يخفى أن لمقدار الشد حسابا لأن الوتر كلما اشتد ارتفع صوته، لذلك ترى أن السلالم غير متماثلة إلا في أن السلم الواحد هو قرار لما فوقه وجواب لما تحته على اعتبار أن اهتزازات الوتر في السلم الواحد مضاعف اهتزازات السلم الآخر أو أنصاف الاهتزازات التي فوق السلم الآخر كما تقدم البيان

ولاستخراج عدد الذبذبات أو الاهتزازات في كل درجة أو نصف درجة توجد آلة تسمى صونوميتر تسجل اهتزازات كل صوت . وقد استنبط الأستاذ وديع صبره (من بيروت) وكانت حرفته العزف على البيانو في باريس مدة طويلة صونوميترا يسجل به اهتزازات الأصوات الموسيقية في جميع درجاتها . وقد جاء به إلى مصر يوم كان المؤتمر الموسيقي منعقدا فيها . وكان غرضه أن يسجل به اهتزازات درجات السلالم العربية بجميع أنواعها وألحانها . ولا يخفى أن لكل لحن من الألحان العربية سلماً خاصا ، كالرست أو الحجاز كار أو الصبا أو النهاوند إلى آخره كما سيأتي بيانه . ولا أدري إن كان الأستاذ صبره قد نجح في هذا المشروع

(للكلام صلة) نقولا الحداد

المجتمع التقدمي

للدكتور قسطنطين زريق

مدير الجامعة السورية وصاحب الوعي القوى

تتمة ما نشر في العدد الماضي

من هنا نشأ الخلل وعدم التوازن في كيان المدنية الحديثة : عدم التوازن بين الوسائل والغايات ، بين التقدم العلمي والتقدم الأدبي ، بين السلطة على البيئة والسلطة على النفس . هنا أصل العلل التي تعانيها هذه المدنية . هنا منشأ الأزمات الاقتصادية والهزات السياسية والمنازعات والحروب والأخطار التي تهدد عالمنا الحاضر بالهلاك والدمار

وهذا كله يظهر أنه لقدر التقدم الصحيح لا بد من مقياس آخر غير القياسين اللذين ذكرناهما : مقياس أهم وأشد خطورة وأصعب من سابقيه تحديدا وتعيينا . هو القياس الخلق الأدبي : هو مقدرة المجتمع عامة ، ومقدرة الأفراد الذين يؤلفونه ، على التغلب على الهوى والطمع والاستئثار ، هو احترامهم لكرامة الفرد وشخصية الإنسان

هذا التقدم الأدبي يظهر بمظاهر عدة : منها توفر الحرية السياسية والاجتماعية والفكرية وضمان العدل في القضاء وتساوي الناس في الفرص وما إلى ذلك من المبادئ التي جاهدت الشعوب بالثورات حينا وبالعمل المستمر حينا آخر لتحقيقها . وكل مرحلة من مراحل تطور البشرية تتميز بالجهاد في سبيل أحد هذه المبادئ . أما المبدأ الذي يشغل مرحلتنا الحاضرة ويملأ أجواء عالمنا دويا فهو العدل الاقتصادي فالاجتماعي : أي حسن توزيع الوسائل التي يهيئها لنا استثمار الطبيعة . لم تعد مشكلة البشرية عامة مشكلة الاستثمار بل مشكلة التوزيع . ولذا أصبح هذا المقياس الأدبي الذي نتحدث عنه أهم من حيث بقاء البشرية وتقدمها من المقياس الأول الذي بدأنا به

هذا العدل الاقتصادي والاجتماعي أصبح ، من حيث المبدأ ، أمرا مثبتا ، وإن اختلفت الشعوب في مقدار العزم على تحقيقه وفي اختيار الطريق المؤدية إليه . ولذلك غدا مفروضا علينا ، في تقديرنا تقدم مجتمع ما ، أن ننظر في الوسائل المادية التي يهيئها لأفراده ، ودرجة تساويهم في هذه الوسائل ، وبالتالي في الفرص المؤدية إلى تقدمهم المادي والعقلي والروحي . ولكن هذا القياس على أهميته ، لا يصلح أن يؤخذ وحده ؛ بل يجب أن يضم إليه مقدار الحرية السياسية والفكرية التي يتمتع بها الفرد في المجتمع . والصراع القائم بين قوتي العالم الجبارتين اليوم إنما هو صراع بين أولوية هذين المبدأين : الحرية الفردية والعدل الاجتماعي . وبقاء المدنية الحديثة وازدهارها منوطان بمقدرتهما على التوفيق بينهما والمحافظة على القيم التي ينطوي عليها كل منهما

ولعلنا نستطيع أن نجمعها وسواها من المقاييس الأدبية في مقياس واحد شامل هو : مبلغ احترام الشخصية الإنسانية ، أي الإقرار بأن لكل مواطن وكل إنسان شخصية لها حرمتها وكرامتها ، وأن أي افتئات على هذه الشخصية بحرمانها من حق سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي هو إهانة لها ووصمة في جبين المجتمع

نستطيع هنا أن نفصل هذا المبدأ الأساسي فنتكلم عن مختلف الوجوه التي يتمثل بها . نتكلم عن حرية الفرد السياسية والاجتماعية والفكرية وعن استقلال القضاء وضمان العدل للجميع . نتكلم عن الفلاح وتحريره من نير المشائخية والإقطاعية ، وعن العامل وضمانه من مساوئ الرأسمالية . يمكننا أن نوضح القضية النسائية ونبين العوائق التي يجب إزالتها من طريق المرأة والفرص التي يجب أن تفسح أمامها لتلعب دورها الخطير في حياة المجتمع . بوسعنا أن نلح على أهمية التعليم وضرورة نشره وعلى حماية الصحة العامة وتوفير الإمكانيات المادية والاجتماعية للمواطنين على السواء . كل قضية من هذه القضايا وأمثالها وجه من وجوه النهضة والتقدم، وهي إذا تحققت بمجموعها كونت المجتمع التقدمي المنشود، ولكنها كلها تنشأ من أصل واحد ، إن لم يتكون ويثبت ويتم ، كان الجهاد في سبيلها جهادا متفرقا متلاحا . هذا الأصل هو احترام كرامة المواطن والإنسان وقدسية كيانه ، والعزم الوطيد على محاربة كل تعد على هذه الكرامة أو أي ظلم لها ، سياسيا كان أم اقتصاديا أم اجتماعيا أم فكريا ، من خارج المجتمع أو

من داخله

إن المجتمع التقدمى مجتمع منسجم يتساوى فيه المواطنون فى الفرص ولا يستأثر فيه فرد أو فريق بحكم ولادة أو إرث أو جنس أو أى فارق عرضى آخر لأنهم كلهم متساوون فى الجوهر: فى مواطنيتهم وفى إنسانيتهم

إلى أى حد تنتشر هذه الفكرة فى مجتمع ما؟ إلى أى عمق تنزل فى نفوس أفراده؟ إلى أى مدى يسعون لتحقيقها عن طريق التعليم أو الجهد السياسى أو النشاط الاجتماعى أو العمل الثورى؟ إلى أى حد يعتبر المواطن أو الإنسان وسيلة للاستثمار، أو، بالعكس، غاية فى ذاته وشخصية تفرض الاحترام وتستوجب التنمية والإغناء. هذا هو جوهر القياس الأدبى، القياس الأعم، خاصة فى هذه المرحلة الحاضرة من تطور الإنسانية، نظرا للتقدم الذى حصل فى ميدان الاستثمار وفى الميدان العلمى والذى يكاد ينقلب تأخرا، بل انحلالا ودمارا، نظرا للتأخر الواقع فى المضمار الأخير

إن هذا العنصر الأخير — العنصر الأدبى — يختلف عن العنصرين السابقين فى أن تقدمه ليس حتميا كما هو الحال فيهما، فقد تحدث نكسات فى حياة الشعوب يخف فيها احترام الشخصية الإنسانية والإرادة لتوفير نموها وازدهارها. ولذا تحتاج هذه الشعوب إلى الالتفات إلى تاريخها لتتحسس مجددا تلك الهزات النفسية التى سمت بها فجعلتها تعى هذه المبادئ وتجاهد فى سبيلها. تلك الأدوار فى حياتها التى كانت فيها حقا تقدمية

وهنا تتجلى أمامنا مسألة طالما شغلت المفكرين والعاملين منا، وهى العلاقة بين النظرة التقدمية وبين التمسك بالكيان التاريخى والميراث القومى. والواقع أنه ليس ثمة تناقض أساسى بين الأمرين إذا ضبطا وفهما فهماً صحيحا وكانت عند المختلفين حولهما الإرادة المكينة لرؤية الحق والسير على هداه. فالكيان التاريخى الإيجابى والميراث القومى الباقى هما نتيجة لنظرة كانت عند الأسلاف تقدمية. لقد كان العرب فى إبان نهضتهم تقدميين، جابوا الآفاق البعيدة، وساروا إلى غاياتهم بلا خوف ولا وجل: اقتحموا البلاد فاتحين وتجاراً ورواداً ومصلحين، نظرهم ممدود أبدا إلى الأمام، فبنوا دولة شاسعة الأطراف وأنشأوا حكما خلده التاريخ. وعندما اتصلوا بالمدنيات الأخرى وتفتحت لهم من خلالها آفاق عقلية واسعة لم يتأخروا عن ارتيادها؛ فأنتجوا فى ميادين العلم والفلسفة آثارا ليس هنا مجال تبيان ضخامتها وجلالها. وأهم من هذا وذاك وأبقى ارتيادهم للآفاق الروحية، وتطلعهم إلى القيم الخلقية والأدبية، وأثر هذا كله فى حياتهم العملية وإنتاجهم الحضارى؛ هذا الاقتحام للميادين الطبيعية والعقلية والروحية هو باعث إبداعهم ومصدر عزمهم ومجدهم. فلما خبت جذوتهم ضاقت آفاقهم وتخلفوا في ميادين الإنتاج فغلبوا على أمرهم. أما تراثهم الباقى فهو نتيجة تلك الروح التقدمية التى ذكرنا. وإذا ما عدنا اليوم إليه فلنقتبس تلك الروح، فنبدع كما أبدعوا، ونخلف لأنفسنا ذكرا كما خلفوا

هذا النوع من الاستيحاء التاريخى لا يتعارض والنظرة التقدمية الحاضرة خصوصا إذا حققت هذه النظرة الشرط المتعلق بها، وهو أن نفهم التقدم بمعناه الواسع الشامل فلا نقف عند عناصره المادية والعلمية فحسب، بل نتناول أيضا العناصر الأدبية والروحية، تلك العناصر التى قلنا إنها أساسية فى تقدير التقدم الصحيح والتى كثيرا ما تهملها أو تقلل من أهميتها التقدمية الحديثة

ينتج من هذا أن المجتمع التقدمى بالمعنى الشامل الصحيح لهذه الكلمة لا يحتاج لأن يقطع صلته بتراثه الباقى ما دام هذا التراث هو نفسه نتيجة لنظرة تقدمية وجهد تقدمى. بل بالعكس إن التقدمية الصحيحة والتاريخية الصحيحة نظرتان وسبيلان تتم الواحدة منهما الأخرى وتسندها وتقويها، وإنما الخلاف والتناقض بين التاريخية المتمسكة بما لم يكن فى جوهره تقدميا، والتقدمية الثائرة على الماضى بكامله المستخفة بالقيم الأدبية. وفى كليهما خلل وفساد. ولذا كان لا بد من أن يتنافرا ويتنازعا. أما الحق فمن طبيعته أن يتصل بالحق ويبتهج بلقياه والانصهار فيه

ذكرت ثلاثة مقاييس رئيسية لتقدير تقدم مجتمع ما: سلطة المجتمع على الطبيعة، شيوع الروح العلمية، احترام الشخصية الإنسانية. هذه المقاييس قد تبدو فى ظاهرها عامة

بسيطة لكنها ، فيما أرى ، المقاييس الأصلية التي يتفرع عنها كل مقياس آخر . ولا تخدعنا بساطتها فالحق في جوهره في غاية البساطة

هذه المقاييس الثلاثة تتحد في النهاية في مقياس واحد شامل هو : الحرية . فاستثمار الطبيعة مؤداه تحرير المجتمع من سلطة المحيط الخارجي وبالتالي من الفقر والمرض . والتقدم العلمي جوهره تحرير المجتمع من الوهم والجهل . والتقدم الأدبي لا يتم إلا بالتحرير من الخوف والذل عند بعض طبقات المجتمع ومن الهوى والطمع عند الطبقات الأخرى . ولذا فالمقياس الشامل لتقدم مجتمع ما هو مقدار ما يوفر لأفراده من حرية : حرية من المحيط الطبيعي ومن المحيط البشري: الخارجي والداخلي . ومن الأمراض الداخلية : الوهم والجهل والهوى . والتقدم إنما يكون صحيحا إذا تناول هذه الوجوه كلها لأن أي خلل أو أي فقدان للتوازن بينها مدعاة للاضطراب ومجلبة للتدهور كما هو حال عالمنا اليوم

على أن الحرية لا تكون حقيقة ولا تؤدي مفهومها ما لم يصحبها عنصر متمم لها هو : الانتظام . فالجهد العلمي ، سواء أكان عمليا تطبيقيا كاستثمار للطبيعة أو نظريا مجرداً كاكتشاف للحقيقة ، هو في الواقع انتظامي . ذلك أن العلم ، كما ذكرنا ، بناء متماسك في نتائجه وأسلوبه . وكذلك التقدم الأدبي : أنه يصدر عن انتظام النفس بضبط الأهواء والشهوات

ولما كان هذان المعنيان المتكاملان : الحرية والانتظام — شأن كل صفة عقلية أو نفسية — لا يقومان إلا في شخصية إنسانية، فإن المقياس الأخير للمجتمع التقدمي هو مقدار ما يتوفر فيه من شخصيات حرة منتظمة ، شخصيات قد تحررت من محيطها ومن نفسها وانتظمت قواها ومواهبها فكان في انتظامها هذا كمال حريتها

لقد رددنا في حديثنا لفظتي : التقدم ، والتقدمية . ولعلنا لم نميزهما تمييزاً كافيا . فالتقدم شيء موضوعي يقاس بالمقاييس العامة التي ذكرناها، وبمقاييس أخرى تفصيلية متفرعة عنها. أما التقدمية فهي صفة داخلية في المجتمع تدفعه إلى السعي إلى التقدم وإلى تحقيق المعاني التي تتضمنها هذه المقاييس . وهي تنطوي على عناصر الرغبة والعزم والإرادة . فإذا فحصنا مقاييس التقدم بما يتحلى به المجتمع عن طريق الشخصيات المكونة فيه ، من تحرر وانتظام ، أمكننا أن نقدر التقدمية فيه بمبلغ ما له من تحفز وعزم وإرادة لاكتساب هذه القيم وإغنائها . هذا التطلع والتحفز ، هذا العزم والتصميم ، هذه الإرادة الدافعة ، هذه الهيئة النفسية المتجهة نحو القيم الإنسانية العليا التي يلخصها التحرر والانتظام : هذه هي جوهر التقدمية المنشودة

أرجو أن لا يفهم من قولي هذا أن التقدمية صفة زائدة على التحرر والانتظام وإنما هي نتيجة ملازمة لها . فالشخصية التي حققت هذين المعنيين المتكاملين هي شخصية تقدمية حتما . وكذلك المجتمع : إذ أن صفته — كما قلنا — هي خلاصة صفة الأفراد الذين يتألف منهم . وبعبارة أخرى أن هذه المعاني الثلاثة — في الأفراد والمجتمعات — هي واحدة في جوهرها . فالتحرر إذا تحقق فعلا كان هو نفسه انتظاماً فتقدمية

ويستنتج من هذا أن الشخصيات الحرة المنتظمة ليست هي نتيجة للتقدم ومقياساً له فحسب بل هي — بمعنى أهم — العامل المؤدي إليه . ولا شك في أنه من الصعب عند تشابك العناصر الاجتماعية وتفاعلها فيما بينها فصل النتائج عن الأسباب فصلا تاما حاسماً . فكأي من نتيجة كانت بذاتها أيضاً سبباً لسواها بحيث يعسر تحديد أية من هاتين الصفتين تغلب عليها . وهذا هو أصل الخلاف الذي ما زال قائماً بين الفلاسفة وعلماء الاجتماع ومملي التاريخ ، والذي نجد صداه الصاخب عندنا في نظريات الباحثين وجهود العاملين

ولما كان لا بد لكل باحث في هذا الموضوع من أن يبدي رأيه الصريح في هذه القضية الأساسية ، لأن منه تتفرع آراؤه في القضايا الاجتماعية عامة ، فوفقي الخاص هو أن العوامل الشخصية الإنسانية هي العوامل الأصيلة وما سواها هو إما عامل مساعد لها أو نتيجة عنها . لقد تكلمنا مثلا عن الآلة كسبب من أسباب التقدم لفعلها في استغلال الطبيعة وضبط العلاقات الاقتصادية والاجتماعية . ولكن الآلة هي نتيجة عمل العقل المتحرر المنتظم . نعم إنها تساعد في إزالة الموانع وتحطيم الحواجز

القائمة فى وجه تحرر العقل فهى من هذا القبيل عامل مساعد . ولكن العامل الأصيل هو العقل الانسانى ذاته بل الشخصية الانسانية المكتملة بتحررها فانتظامها فتقدميتها

وفى نظرى أن ما يحرزه مجتمعنا العربى من تقدم متوقف — فى الدرجة الأولى — على ما ينشأ ويعمل فيه من شخصيات متحررة منتظمة تقدمية فى ذاتها . ولا عجب فى هذا ! ففاقد الشئ لا يعطيه . عبثاً ننتظر إشاعة الحرية ممن لم يتحرر فى ذاته أولا . عبثا نتطلع إلى من لم ينتظم عقله وتنسجم قوى نفسه لأن يكون باعث انسجام وانتظام فى المجتمع . عبثا نرجو ممن يخشى المغامرة واقتحام آفاق العمل والعقل والروح أن يدفع بمجتمعه إلى الأمام

ولذا كان أخطر واجب علينا وأجسم عبء ملق على عاتقنا تكوين هذه الشخصيات التى تصبح فى المجتمع مبعث قوة وحياة واندفاع . ولا نكران أن للقوة والحياة والاندفاع مصادرها الأخرى، ولكن هنا — فى الشخصيات الحية الفاعلة ، المتحررة المحررة ، المنتظمة الناظمة — المصدر الأول والمبعث الرئيسى

وفى الواقع أن هذا الاعتقاد هو أساس إيماننا بأولية التعليم والجامعى منه بصفة خاصة ؛ فانما بذلك ننشد مداواة العلة فى جذورها وتهيئة العامل الرئيسى للانبعاث والتقدم . وعلى هذا الشكل يجب أن تفهم مهمة الجامعة الأصيلة . إن للجامعة مهمات عدة على درجات متصاعدة من الخطورة والجلال . عليها تدريب شباب الأمة وإعدادهم للمهن الحرة . وليس من يستخف بهذه المهمة خصوصاً فى مجتمع كمجتمعنا يحتاج إلى إنشاء شامل وإلى عاملين أكفاء فى شتى نواحى الإنتاج : فى استثمار الطبيعة ، فى ضمان الصحة ، فى نشر التعليم . وقد بينا أثر هذه الأعمال كلها فى تقدم المجتمع والضرورة الملحة لتدعيم تعليمنا الفنى وتوسيعه . وللجامعة فوق هذا مهمة المحافظة على التراث العلمى الإيجابى ودرسه بالبحث والتحرى ونقله إلى الأجيال الصاعدة . وبهذا أيضا تساهم فى التقدم كحامية للعلم وخادمة للعقل . لكن مهمتها الكبرى ، مهمتها الأصيلة ، هى تكوين الشخصيات التى وصفنا ؛ تلك الشخصيات التى يؤمن بها الجامعى بأنها العامل الأهم فى التقدم والارتقاء

هذا كان لب الجامعات فى التاريخ وهذا فعلها فى نهضات الأمم ؛ فإليه يجب أن نوجه جهودنا فى جامعاتنا الوطنية

من هذا السبيل — وعنه وحده — تبرر الجامعة وجودها فى الوطن . عن هذا السبيل تساهم مساهمة أصيلة فى تكوين المجتمع العربى المستثمر إمكانياته، القابض على جوهر العلم المتعلق بالقيم الأدبية والروحية، الصائن كرامة المواطن والانسان؛ المجتمع العربى المتحرر ، المنتظم ، المجتمع العربى التقدمى الجامع بتقدميته هذه المعانى كلها

قسطنطين زريق

نظرات خاطفة

من الشعر السوداني الحديث

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصري

أكثر الأدباء اليوم أو المتأدبين والمتذوقين الأدب بصورة عامة منغمرون في السياسة، وتتبع الحوادث الدولية، وما يجرى خلف كواليس الأمم الكبرى التي تريد أن تقرر مصير الشعوب والإنسانية بالحق والباطل، لذلك فهم بعيدون عن تتبع النشاط الفكري والحركات الأدبية في البلدان العربية والشرقية بصورة خاصة. ولعل لهم العذر، وقد يكون العذر واضحاً لعدم اطلاعهم على الصحف الأدبية التي تمثل النتاج الأدبي في تلك الأقطار من جهة؛ وانغماسهم في المادة وتفضيلهم صرف المال في سبيل البطن والكماليات من جهة أخرى. كأنما الكتابة ضرب من الجنون لا يجب على المتمدن مزاولته، فلهذه الأسباب أقول إن أكثر الأدباء والمتأدبين — إن لم أقل كلهم — لا يعرفون من الأدب السوداني الحديث — وخصوصاً الشعر منه — شيئاً، كما أنهم لا يدرون من هم أبطال النهضة الشعرية وروادها في هذا العصر — وعلى سبيل المثال أقول إن الكثرة الغالبة من أدباء العراق لم يسمعوا بشاعر الشباب السوداني التيجاني رحمه الله وهم حتى الآن لم يعرفوا أن له ديوانا موسوماً بـ (إشراقة) طبع مرتين فكيف بالأحياء — لهذا ولما كنت من المتتبعين للنهضات الفكرية الحديثة في البلدان العربية وخصوصا السودان المصري ولي مع أدبائهم وشعرائهم صلات أخوة كريمة وثيقة — أرجو أن لا تفصم عراها الأيام — أحببت أن أقدم في هذه العجالة الخاطفة نماذج من الشعر السوداني الحديث على أن أتبع هذه المقدمة بأحاديث أخرى في المستقبل القريب إن شاء الله. وعليه توكلنا ومنه القوة والعزم

وأول هذه النماذج هي لزعيم الشعر الإبداعي المرحوم التيجاني يوسف بشير (١)

ولد شاعرنا في أم درمان سنة ١٩١٢ م وهو أحمد التيجاني ابن يوسف بن بشير بن محمد بن الإمام جزري الكتيابي والكتياب بيت مشهور من بيوت السودان ممتاز بين قبائل الجمليين الذين عرفوا بالإقدام والسماحة، ولقب بالتيجاني تيمنا بالطريقة المعروفة، دفع وهو صغير إلى خلوة عمه الشيخ محمد القاضي الكتيابي لحفظ القرآن ومشى بعد ذلك في طريقه المرسوم إلى المعهد العلمي في أم درمان حتى تخرج منه ثم اتصل بالصحافة بعد استيعاب كثير من كتب الأدب القديم وكتب الصوفية والفلسفة؛ فشغلته هذه الدراسات عن نفسه حتى دب إليه الوهن فتوفي سنة ١٩٣٧ م. هذا هو مختصر حياة التيجاني، ولكن الذي يقرأ شعره يدرك أن السنوات القصيرة التي عاشها الشاعر ما ذهبت عبثا — وإن كانت عمر الورد — لأنها تركت لنا أنغاما عذبة يظل صداها يرن في سمع الكون مدى الزمان. وإليكم اللحن الأول

النائم المسحور (٢)

أيها النائم في مهد أغاني ولحني
هكذا يدفق بإناعس في حسنك حسني
هكذا ينفذ سلطاني ويستهويك حزني
هكذا يهبط في عينيك ما تدفع عيني

* * *

أنت يا واهب ألحاني ويا ملهم فني
أنت فجرت لي اللحن ففيأنك أمني
إنما أسنم من كرمك صهبائي ودني
إنما أسحر عينيك بما تسحر مني
يا أماني التي أعبدها من كل لون
وأغاني التي ألهمها ملهم جن
والتي ذوبها الشاعر في الصوت الأغن
كلما طار بها العود وقراها المغني

* * *

---

١ — مقدمة ديوانه (إشراقة) ص ٢
٢ — ص ٧٨ الديوان نفسه

خفقت ذات جناحين : مدو ومرن
عبرت كل فؤاد وتفشت كل أذن
هكذا يدفق ياناعس فى حسنك حسنى
وكذا ينفذ سلطانى ويستهويك حزنى

ومن هنا يدرك القارئ الكريم أن الناحية الغنائية هى التى تطغى على شعره وهى التى تقتصر على التغنى بالخوالج النفسية والإحساسات الروحية الذاتية ، وهو شعر جميل فى حد ذاته وأكثره خالد ؛ لأن النفس تميل إلى الإشادة بمن يشرح آلامها ويعبر عن انفعالاتها كما يقول الدكتور إبراهيم فى خطبته التى ألقاها فى تأبينه ، ولا نريد أن ندع التيجانى دون أن نقدم له قطعة موسيقية أخرى من شعره الغنائى الذى أعده من أخلد الشعر وإن اختلفنا أنا والأستاذ عباس خضر فى هذا الصدد (٣) . ولنسمعه فى قصيدته المنشورة ص (٢٠) من الديوان تحت عنوان :

جمال وقلوب . . .

وعبدناك يا جمال وصغنا ... لك أنفاسنا هياما وحبا
ووهبنا لك الحياة وفجر ... نا ينابيعها لعينيك قربى
وسمونا بكل مافيك من ضعـ ... ـف جميل حتى استفاض وأربى
وحبوناك ما يزيدك بالرمز ... وضوحا وأنت تفتأ صعبا
وذهبنا بما يفسر معنا ... ك ، بعيدا وأنت أكثر قربا
من ترى وزع الفاتن يا حسـ ... ـن ومن ذا أوحى لنا أن نحبا؟
من ترى علم القلوب هوى الحسن ، وقال اعبدى من السحر ربا؟
من ترى ألهم الجمال وقد أعطاه من جبرة الحوادث عضبا ؟
أن يبث الهوى مفاتن فى جفن بليغ ، وأن يجود ويأبى ؟
من ترى وثق العرى بين مسحورين ، أسماهما جمالا ، وقلبا ؟
إنه صانع القلوب التى تنصب ... فى قالب المحاسن صبا

٭ ٭ ٭

يا جمال الحياة فى حيثما كا ... ن أمانا . وحيثما كان رعبا
وجمال الحياة فى كل من أمعل ... شرقا وكل من سار غربا
أقس يا حسن ما تريد وتبغى ... أو فكن هينا على النفس رطبا
أنا وحدى دنيا هوى لك فيها ... كل كنز من الشاعر قربى

أى والله هذا هو السحر الحلال الذى يجرى فى لفظ موسيقى ولكنه عربى أصيل لاحوشى فيه ولا غريب ، ورحم الله التيجانى بعد هذا حيث يهتف بلوعة المحروم وهو يناجى حبيبه البعيد من قصيدته المنشورة فى (ص ٨٩) والمرسومة بـ

نعيم الحب . . .

إن لى من وراء عينيك هاتـ ... ـين مصلى وفيهما لى مخدع
فيهمـــا لوعة القلوب ونعما ... ها ، وكم فيهما حديث موقع
كم يجنبى من مفاتن ما تخفض عيناك من جلال وترفع
نفس هائم يصعده الحب ... نديا كأنمـــا هو مدمع
مر بى عابرا فأوردته نفسا أصابت من سحر عينيك مشرع
فيه من لوعتى أحاديث يغلى ... فى حواشيهما فؤاد مفزع

٭ ٭ ٭

كل ركب منها رسول من القلب المعنى إلى الملاك الممنع
أيهذا الحبيب ما بى إلا أن دنيـــاى من نعيمك بلقع
أنا أشقى بالحب من حيث ما ينعم قلب وكم ألذ وأمتع
والهوى نعمة الزمان ، ونعمى الخلد أسمى من الحياة وأرفع
الجمال الذى استقاد به الله وجودا صعب القـــادة أروع

(٣) لاشك أن القراء اطلعوا على رأى الأستاذ عباس خضر فى الشعر الغنائى الذى نشر فى أعداد فائتة من الرسالة الزاهرة ردا على رأيى لذا أحب أن أقدم له هذا الرأى الجديد وهو مقتبس من كتاب المستشرق الدكتور ر ، بلاشير باللغة الفرنسية وترجمه صديقنا العلامة الأستاذ أحمد أحمد بدوى المدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول باسم « ديوان المتنبي فى العالم العربى وعند المستشرقين » وتفضل فأهداه لى وأنا مع شكرى له أقدم هذا الرأى عن شعر المتنبي وشهرته إلى الأستاذ عباس خضر على أن أرجع للكتابة عن الكتاب قريباً قال المؤلف ص «١١٨» والعنصر الأخير الذى ثبت شهرة أبى الطيب هو ما فى شعره من موسيقى» ويقول ص « ١٢٠ » : ـ « وإذاً فما يتبقى للمتنبي فى نظرنا ؟ يدق منه بكل دقة ما أكد فى نظرنا شهرة المتنبي فى الأوساط العربية فى مصر وسوريا ، وأعنى به هذه الأشعار الغنائية والفلسفية التى تزين أغلب قصائده » حتى يقول ص « ١٢٣ » : « وإذا وازناه ـ أى المتنبي ـ بغيره من فنانى لغته ، نعرف بم سحر المعجبين به من العرب ، وهو لا يبدو لنا حينئذ مجرد مغرم بالأفكار الشائعة ، ولكنه ساحر بليغ يعرف كيف يصقل عباراته بكثير من الفن ويجعلها ذا أسلوب عاطفي سام »

أليس هذا دليلا على أن الشعر الغنائى ذا الجرس الموسيقى أقرب للخلود والترديد والترتيل ؟ !

وإلى هذا نودع التيجانى شاعر الشباب لنقدم لكم شاعراً آخر وهو معروف لدى القراء ؛ فقد سبق أن طالعوا شعره فى مجلتى الرسالة والثقافة الزاهرتين وصحف السودان وخصوصاً (الصراحة) و (التلغراف) وغيرها من أمهات صحف الخرطوم وهو صديقنا الشاعر المبدع الشاب الأستاذ جعفر حامد البشير الذى نترك ترجمة حياته الآن إلى مقال مفصل عنه، ولكن حسبنا أن نورد عنه هذه النبذة التى كتبها عنه الدكتور محمد النويهى أستاذ الأدب العربى بكلية الخرطوم الجامعية .. والتى نشرتها جريدة (الصراحة) (٤) الغراء وها هى :

« أكون لكم جد شاكر إذا تكرمتم بإبلاغ شكرى الجزيل وامتنانى الصادق للشاعر الموهوب الأستاذ جعفر حامد البشير لقصيدته الفائقة فى تحية النهضة النسائية . وأود أن أنتهز هذه الفرصة لأعبر عن إعجابى الخالص بكل ما قرأت له من شعر ، ولست أغالى إذا قلت انه بين جميع الشعراء والسودانيين منذ التيجانى أحسنهم جميعاً بين سلاسة التنغيم وصحة الأسلوب ؛ وبين صدق العاطفة وإخلاص المشاركة للروح السودانية .. » للشاعر البشير قصائد ممتازة مبثوثة فى خفايا الصحف والمجلات، وها نحن نورد للقراء المثال الأول منها وهى قطعة بعنوان « نفديك » قال :

يا مشرقاً وضياء الشمس يغمره ... لا زلت تمرح إشراقاً بإشراق
نفديك كيف تبيت الروح ظامئة ... والنبع عندك نبع الحسن يا ساق
بل فى جمالك أنهار مطهرة ... من كل عذب إلى الشطآن دفاق
يا فاتنى إن قلبى قد ظفرت به ... أضحى خلايا صبابات وأشواق
قد لامنى فيك أقوام وما علموا ... أنى المدل بآدابى وأخلاق
نزهت نفسى عن الفحشاء فى زمن ... أهلوه معشر مجان وفساق
قالوا ، وأرجف أقوام وما علموا ... أن العفاف دماء مل، أعراق
يا سامح الله منهم ، رغم ما اقترفوا ... إنى عليهم لذو عطف وإشفاق

ويبدو البشير فى قطعته هذه شاعراً متزهداً غارقاً فى حلمه عائباً على وشاته أراجيفهم، ورغم ذلك فهو سموح عطوف ، وأظنه فى شعره هذا متأثر بكتب الصوفية وطرائق شيوخها. على أن ذلك كله لم يؤثر على عاطفته فشعره سهل رقيق ، وعاطفى عذب ، وجرسه حلو فاتن ، والدلالة أكثر على هذه الناحية منه نسوق للقراء هذه الأبيات أيضاً من قصيدته « هوى يتجدد » قال :

وهوى أراه على المدى يتجدد ... ما زال يهبط فى الفؤاد ويصعد
هو فى الصباحات الرطاب نسائم ... نشوانة - مل، الفضاء - تعربد
ولدى الحوالك فى العشايا شعلة ... ما أن تزال مشعة تتوقد
محراب قلبى .. كلما عاودته ... ألفيت فيه أخا هوى يتعبد
أنا للصبابة والغرام فإن أمت ... فأنا الشهيد بحبه المتعبد

ألم أقل لكم إن أخانا البشير شاعر صوفى ؟ وهل أدل على صوفيته ورهبنته « فأنا الشهيد لأننى متعبد فى محراب الحب والجمال »

قدست سرك يا جمال وأذعنت ... روحى وقلبى للمفاتن يسجد
يا حسن ، يا نهر الحياة ونبعها ... قلبى - فديتك - فى الهواجر فدفد
أظمأته دهراً فهل من رشفة ... تشفى لواعج أقسمت لا تبرد

أو قوله من قصيدة بعنوان « جمالك » ..

جمالك لا غاضت ينابيع سحره ... سيبقى لصنع الله أروع شاهد
أرى ، ما أرى ؟ دراً نضيداً . وبسمة ... لها مثل إشعاع النجوم الفراقد
وهذا الجبين الحلو زان صفاءه ... وميض بهيج الضوء جم التطارد
فأنت الذى فتحت قلبى للهوى ... وألهمت وجدانى، فلست بجاحد
وأنت الذى وجهت للحسن خاطرى ... وشعرى ، عمداً منك أو غير عامد
الأهات جدد من حياتى فإننى ... لأنكر من آثارها كل بائد
أعود إليك اليوم ولهان مدنفاً ... فهل أنت من فعل الصبابات عائدى
أفكر فيك الليل والصبح هائماً ... فألقاك والتفكير بعد معاودى
وما محى من خاطرى لك صورة ... هى النبع فى جدبى ودنيا فدافدى

* * *

ولا أحب أن أنتقل بالقراء إلى شاعر آخر دون أن أشير إلى الميزة الفذة التى يتمتع بها البشير والتى تكاد تطغى على شعره؛ هى هذه الوسيقة اللفظية الحلوة التى يزاوج بها معانيه وأخيلته

(٤) الصراحة جريدة يومية سياسية تصدر فى الخرطوم وهى من أوسع الصحف السودانية انتشاراً ورواجاً

أما الشاعر الثالث فهو من الذين يتصفون بالرقة والنزوع إلى التجديد برغم كونه غير معروف للقراء، لأنه لا يميل لإذاعة شعره على الناس ولا نشره فى الصحف . وكان هذا الصديق قد أرسل إلى مجموعة من شعره لأرى رأيى فيهـا فطالعتها بإمعان فوجدت فيها روحاً سامياً وشاعرية فذة لو تمهدها صاحبها بالصقل والمران لخلقت منه وتراً جديداً من أوتار الشعر فى السودان؛ وهذا الشاعر هو الأستاذ جعفر عثمان مومى ، وهذه أنغامه ، قال من قصيدة له بعنوان (حياة خاوية) وسيرى القراء فيها مدى الحيرة التى تلازم الشاعر والألم الذى يعصف بحياته ؛ قال

أطل على عالم بارد … كأنى أطل بوادى العدم
ظلام ويأس وصمت كئيب … وكأس بها من عصير الألم
وفى كل ركن هموم ثقال … وثغر يعض بنان الندم
وقلب تحطمه لوعة … وخد خضيب بدمع ودم
فلا القلب نشوان من فرحة … ولا الروح سابحة فى النغم
وفى النفس طاف الأسى والبكا … وسار المشيب ودب الهرم
فنفسى مبعثرة حيرة … وغارقة فى بحار السأم
ظلام بعينى ونفسى مشى … وهم ثقيل بصدرى جثم
ولى مظهر كلما داعبته … يدى بث حولى فحيح السقم
كأنى بصومعتى راهب … أكب على ربه يستلم
ونام وأصبح صـبح وقد … تهدم معبده والصنم
حنانك ربى سئمت الحياة … وضقت بنقلى عليها القدم

وهناك نغمة أخرى ، نغمة جديدة ثائرة متمردة على كل شئ حتى على الشاعر نفسه ، ولنتركه يصف الحياة التى يتطلبها فى قصيدته « القمم »

هنالك فى القمة العاليه … فضاء وحرية للنجاح
ترامى الضياء على الرابيه … وتزأر كالوحش هوج الرياح

• • •

هنالك لا الشمس مسودة … ولا البدر مستتر بالسحاب
ولا الأنجم الزهر مربدة … ولا الفجر يغفو وراء الضباب

• • •

هناك السباسب مخضرة … وسفح الربى ورؤوس الهضاب (٥)
فنشاة من عيشها غدوة … وللظبى حظ كما للذئاب

• • •

أيا كتلا كقطيع الشياه … تساق إلى الموت بين الحديد
إلام تسيرون عمياً حفاه … وتحيون كرها حياة العبيد

• • •

إلى القمة الحرة الساحره … إلى حيث شيدت قبور الجدود
إلى القمة الحية الساهره … إلى العيش تحت ظلال الخلود

• • •

ألم تسأموا من رقاد الثرى … وإطباق هذا الظلام البغيض
ألا تبدأون صعود القرى … وتنفضون عنكم هوان الحضيض

• • •

ألم تسأم العنق أغلالها … ألم يسأم الجسم لذع السياط
أما بحت الظهور أحمالها … أما ملت الأنف مس البساط

• • •

لقد آن أن تبعثوا من جديد … وآن لنور الحياة الشروق
وآن لمهد طفى أن يبيد … وأن تبدوا فى اقتحام الطريق

• • •

وأخيراً ماذا أذكر بعد ما قدمت للقراء هـذه النماذج من الشعر السودانى الحديث .. أقول أنا عاتب على أدباء السودان وشعرائه لأنى رغم مرور أكثر من ستة أشهر على الدعوة التى وجهتها لهم على صفحات جرائدهم فى الخرطوم بواسطة زميلنا الأستاذ جعفر حامد البشير لم يردنى منهم شىء أستطيع أن أصنع منه دراسة أدبية مفصلة ودسمـة لنشرها على النـاس ، فهل أنا الملوم أم هم ؟ وهل بعد كل هذا يحق لجريدة «النيل» أن تنعتنا بالخمول وعدم الـكتابة عن الأدب السودانى ؟ إن هـذا العتاب نفسه أوجهه لأدباء السودان وشعرائهم وأساتذة كلياتهم ومدارسهم

---

(٥) جمع سبسب — القفر

المالية ، راجين منهم إرسال نماذج من أدبهم وشعرهم للاطلاع قبل أن تذهب صحفهم فتهم البلاد العربية وخصوصا العراق بعدم التنويه بأدب السودان الحديث . أما عن الصحافة السودانية فمع الأسف أننا لا نعرف عنها شيئا ألبتة إلا ما يرسله لنا بعض الإخوان عن طريق المراسلة ، وليت الصحافة السودانية تتكرم فتزودنا بنسخ من صحفها .. هذا ولنا عودة للموضوع قريباً وكل آت قريب إن شاء الله

بغداد — أمانة العاصمة		عبد القادر رشيد الناصري

محمد إقبال
شاعر باكستان الاكبر

للاستاذ صلاح الدين خورشيد

يحتفل أهل باكستان فى اليوم الحادى والعشرين من شهر أبريل كل عام بذكرى إقبال ، الشاعر الفذ والفيلسوف الحكيم والزعيم المدره والسياسى النابغة ، الذى يرجع إليه عظيم الفضل فى إيقاظ وعى المسلمين فى شبه جزيرة الهند ، وشحذ قوائم وجمع كلمتهم ، ثم وقوفهم كالبنيان المرصوص ، عندما هبوا للمطالبة بحقوقهم وضمان مصالحهم

فالواقع أن إقبالا كان من أعظم رواد فكرة الباكستان ، ومن أكبر العاملين على تحقيقها ، إذ رأى — وهو ذو الرأى الصائب — أن المسلمين فى شبه جزيرة الهند ليسوا بمجرد الفئة أو الطائفة ، وإنما هم قوم لهم جميع ما للأقوام الأخرى من مقومات وخصائص ، فلهم أسلوب للحياة يختلف عن نهج الطوائف الأخرى ، لهم دينهم ولهم لغتهم ولهم تاريخهم ولهم أبطالهم . ولذلك رأى أن الحل الوحيد لمشاكل الهند الدستورية — وكانت هذه المشاكل يكاد يستعصى حلها — هو أن يستقل المسلمون فى الأقسام التى يؤلفون فيها أغلبية السكان ، يحكمون أنفسهم بأنفسهم ويسيرون سيرتهم التى يؤثرون

قال فى خطاب سياسى ألقاه سنة ألف وتسعمائة وثلاثين فى اجتماع حزب العصبة المسلمة ما معناه :

« أود أن أرى البنجاب وإقليم الحدود الشمالية الغربية والسند وبلوخستان دولة مستقلة قائمة بذاتها » ، وفسر قوله هذا بأن :

« ليس من حل يؤدى إلى تكوين نظام دستورى مكين فى الهند — حيث يتباين المناخ وتختلف العناصر وتتنوع اللغات وتتباين نظم الحياة — إلا فى إقامة حكومات مستقلة تجمع بين سكانها وحدة اللغة والعنصر والتاريخ والدين وتقارب المصالح » ثم أوصى المسلمين فى نفس الخطاب قائلا :

« إننى لا أنصح المسلمين قط بقبول أى نظام لا يقر لهم بكيانهم السياسي المستقل »

لم يكن محمد إقبال — رحمه الله — لينطق عن الهوى عندما نصح بهذا لبنى قومه ، وإنما كان يعرب إعراباً صادقاً عما كان يخالج مشاعره — وهو الشاعر الفذ — من انفعالات ومؤثرات تلازم حياته وحياة المسلمين من حوله

فلقد ولد محمد إقبال شاعراً ، مرهف الحس حديد الشاعر بعيد البصائر ، وكان أبوه يتعهد تعليمه أيام صباه ويوصيه بتلاوة القرآن الكريم والتأمل فى معانيه ، فكان يطلب إليه أن يسترسل فى تلاوة القرآن الكريم بعد الفجر كل يوم ، وكان كلما رآه بعد الفجر سأله عما يصنع فيجيب إقبال بأنه يتلو القرآن ، ولما ألحف الأب بأسئلته وألح كل يوم قال الابن : « يا أبت إنك ترانى أتلو القرآن الكريم ... فلم تعيد هذا السؤال على وأنت عليم بما أصنع » فقال الأب : « بلى ! ولكننى يابنى أردت أن أقول لك : أتل القرآن وكأنه أنزل عليك »

كان إقبال يروى هذا الحوار ويقول : « ومنذ ذلك اليوم بدأت أتفهم القرآن وأتفقه معانيه ، فاقتبست من قبسه واستنرت بنوره »

بدأ محمد إقبال تعلمه بالقرآن الكريم شأن أكثر المسلمين ، ثم تقلب فى الدرس والمدارس حتى نال شهادته العالية من كلية الحكومة بمدينة لاهور ، وفى سنة ألف وتسعمائة وخمس قصد إنكلترا لإتمام التحصيل العالى بها ، ومنها سافر إلى ميونيخ حيث التحق بإحدى جامعاتها ونال منها شهادة الدكتوراه فى

الفلسفة ، وكان خلال إقامته فى أوربا يتلمس ما شاب الحضارة الغربية من نزعة مادية قوية ، ومن عصبيات عنصرية ولونية ، فأراد أن يفهم الغربيين ما فى الإسلام من نعم وفضل على المسلمين وعلى البشرية جمعاء ، فألقى عدة محاضرات عن الاسلام والحضارة الاسلامية ، قاصداً إزالة ما فى أذهان الغربيين من انطباعات خاطئة فى هذه الحضارة العتيدة وذلك الدين المجيد

ولد محمد إقبال شاعراً ، مرهف الحس حديد المشاعر ، بعيد البصائر ، وقد وصفه أستاذنا الدكتور عبد الوهاب عزام بك بأنه « أكبر شعراء المسلمين فى هذا العصر ، وأبلغهم تصويراً للحضارة الاسلامية ، وأعظمهم أثراً فى نفوس المسلمين ، وأصحهم إدراكا لمقاصد الاسلام ومعانيه »

فإقبال لم يتخذ من الشعر هواية ، فلم يتغزل أو ينظم الشعر التمثيلي أو الرومانطيق ، وإن اتخذ من الشعر حكمة وموعظة وهداية ، فكان شعره فلسفيا موضوعيا أكثره ، ذلك لأنه لم يقل « بالفن — من أجل الفن — » بل كان يؤمن بأن الشعر فن من الفنون الرفيعة التى ينبغى استخدامها لأجل النهوض بالمجتمع إلى أعلى مراتب الرقى ، حتى روى عنه أنه قال مرة :

« إن وحياً صادراً من مصدر من مصادر التدهور والانحطاط ، قد يكون أثره أشد فتكا من جميع جحافل جنكيز خان ... »

وهو يرى أيضاً : « أن سلامة النفوس فى أى شعب من الشعوب إنما تتوقف إلى حد كبير على نوع الإيحاء الذى يلقاه شعراؤه وفنانوه ... »

ولذلك اتخذ إقبال من الشعر وسيلة لتحريك المشاعر بين بنى قومه وشحذ هممهم واستثارة عزائمهم ، إذ أبان لهم أبلغ إبانة بأن لهم مجداً مؤثلا وحضارة وتاريخاً مجيداً ، واستحثهم على السعى والجهاد والتسامى بالمقاصد والغايات

واليكم بعض الأمثلة من شعر إقبال كما يترجمها إلى العربية صاحب السعادة الدكتور عبد الوهاب عزام بك سفير مصر بالباكستان :

عليك السير لا ترغب مقيلا وسر كالشمس لا ترقب دليلا
وهب للآخرين متاع عقل ونار العشق فاحفظها بديلا

* * *

أثرت بنغمتى كل النوادى ومن سر الحياة جعلت زادى
أضاء القلب من عقلى ولكن جعلت عيار عقلى فى فؤادى

* *

أرى رمز الحياة بكل زهر مجاز فيه يا قلبى الحقيقه
بترب مظلم ينمو ولكن له عين إلى شمس الخليقه

* * *

وهذه نبذة من قصيدة ممتعة للشاعر محمد إقبال عنوانها وصية الصقر لفرخه وقد ترجمها الدكتور عبد الوهاب عزام بك أيضا :

متاع الحياة تعلم جهاد وصبر على محنة واجتهاد
يقول لفرخ عقاب عتيق : بريق الدماء يفوق العقيق
ولا تبغ سربا كسرب النغم توحد كقومك منذ القدم
سمت وهاة الصقور الدقاق بألا تقيم بظل وساق
فليس لنا فى رياض مجال فسيح الفيافى لنا والجبال

صلاح الدين خورشيد

رسالة الأدب

بين الاصفهانى والثعالبى

للاستاذ حامد حفنى داود

كثيرا ما تكون ذاتية الأديب سببا فى تضارب آرائه أو هدمها وخاصة حين يعمد إلى مقارنة كاتب بآخر من كتاب تاريخ الأدب العربى ، فيحمله تعصبه للواضع أن يقدم آثاره على آثار غيره ، أو يقدمه على أترابه من أجل سفر واحد من أسفاره

هذا ما لمسته حين أثار جماعة من الأدباء نقاشا حادا حول كتاب « الأغانى » للأصفهانى وكتاب « يتيمة الدهر » للثعالبى . وكانت المفاجأة عجيبة حقا حين رأى ذلك الناقد الكريم أن كتاب الأغانى أدى إلى الرسالة الأدبية القدر الذى لم يؤده كتاب اليتيمة . ولعل ذلك الناقد هاله أن يقع كتاب الأغانى فى واحد وعشرين جزءا على حين يقع الآخر فى أربعة أجزاء . وعلى هذا أصبح الأصفهانى — فى نظره — أحق بالتقديم من صاحبه

هذه أحكام سريعة مليئة بالخطأ والعيوب . ولعله لم يحملنا على الوقوع فيها إلا فى الأحكام السطحية التى نرسلها قبل الدراسة العميقة والآراء المحصة

* * *

ولو أننا نستعرض حياة الأصفهانى فى القرن الرابع والثعالبى فى أوائل الخامس ، ثم أخذنا نوازن بين آثارهما ومقوماتهما الأدبية لاستطعنا أن نجيل الحديث على غير هذا النحو ، وأن نرسل أحكاما دقيقة تقوم على الحجة والبرهان

كان الأصفهانى (٣٥٦ هـ) والثعالبى (٤٢٩ هـ) شيخى عصرهما فى تاريخ الأدب ودراسته . وقد حملا إلينا خلاصة الآثار الأدبية التى وصلت إلى علم هذين القرنين . ولكن شتان ما بين الرجلين فى طريقة الأخذ وفى طريقة علاج النص الأدبى

ولعلنا نجد فى حياة الرجلين وآثارهما وأسلوبهما ما يعيننا على تلمس ما بينهما من هوة واسعة فى نقل « المادة الأدبية » إلينا وفى طريقة حملها وأدائها

عاش الأصفهانى فى النصف الأول من القرن الرابع وهو عربى من نسل بنى أمية ، وولد بأصفهان يوم كانت موطن كثير من الأشراف النازحين والأمويين الهاربين خلال العصر العباسى الثانى . ولكنه انتقل إلى بغداد سريعا حيث نشأ وتعلم . وهنالك جمع مادة كتابه الأغانى من الأخباريين وتلقفه من أفواه المؤرخين والمغنين ورواة الشعر ، فى الوقت الذى كانت فيه بغداد تموج بجهابذ الشعر ، وتكاد تضيق بالشعراء والأدباء على اتساعها ، وهؤلاء غير من كانوا يفدون عليها من الدول الإسلامية شرقا وغربا وخاصة دولة بنى بويه عماد السياسة والحضارة الإسلامية فى القرن الرابع

أما الثعالبى فإنه ولد بنيسابور ونشأ فى بلاد المشرق حين كانت مسرحا للدول الفارسية الناشئة فى ذلك العصر ، وفى هذه البقعة من الأرض خالف الثعالبى فى نشأته أعيان عصره حيث أخذ الأدب عن رغبة ملحة وميل شديد ، فلم يحمل نفسه عليه حملا أو يكرهها على صناعته كرها ، بل كان ملهما بطبيعته وفطرته . وقد وهب إلى جانب ذلك قريحة وقادة وسجية مواتية ، يدلك على ذلك أنه كان فى أول أمره فراء يبيع فراء الثعالب فى الأسواق . ولو كان من صناع الأدب ومتكلفى الشعر الذين يكرهون أنفسهم ويحملونها على علاج هذه الصناعة لضمب عليه أن يغير مجرى حياته على هذا النحو العجيب . وهو إلى جانب هذه الطبيعة المواتية يحمل بين جنبيه نفسا محسة وقلبا نابضا يطوع له صناعة الأدب ويفتح أمامه طريقا سهلا ميسورا فيجد نفسه مشاركا لأدباء عصره فى إحساسهم مرتبطا بمواطفهم حافظا لأشعارهم ورسائلهم . ثم يأبى عليه هذا الطبع السمح إلا أن يقوده إلى الكتابة الأدبية المنظمة من بيئته التى عاش فيها ، فيجد نفسه مرة أخرى حيال نزعة ملحة إلى تأريخ الحياة الأدبية خلال القرن الرابع كله ، فيضع كتابه « يتيمة الدهر » . ويخرج الكتاب صورة صادقة لهذه النفس فى سهولتها وهذه العقلية فى نظامها وهذه الحافظة فى وعيها وهذه الثقافة فى اتساعها

أما الأصفهانى فيضع كتابه السالف فى واحد وعشرين جزءا

وهو أضعاف مضاعفة لكتاب صاحبنا ، سواء في مادته وأخباره.
تراه يجمع فيه مادة وافرة من الشعر والغناء وأخبار الشعراء حتى أنه — كما يحدثنا أبو محمد المهلبي — وضعه في خمسين سنة وأنه لم يستطع أن يكتبه إلا مرة واحدة في عمره . ويكفيه فخراً أن الصاحب بن عباد زعيم الشيعة وعميد الأدب العربي في النصف الثاني من القرن الرابع — يمدحه ويثني عليه ؟ لما رآه من استقصائه للأخبار وجمعه لحكايات الشعراء حتى قال فيه : « ولقد اشتملت خزانتي على مائة ألف وسبعة عشر ألف مجلد ما فيها سميري غيره . ولقد عنيت بامتحانه في أخبار العرب وغيرهم فوجدت جميع ما يعزب من أسماع من قرنه بذلك قد أورده العلماء في كتبهم ، ففاز بالسبق في جمعه وحسن وضعه وتأليفه . » (١)

وعلى الرغم مما امتاز به الأصفهاني في جمع الأخبار واستقصائه إياها فإنه لم يأمن غائلة النقاد الذين جاءوا بعده: قال ياقوت. «وقد تأملت هذا الكتاب وعنيت به وطالعته مراراً وكتبت منه نسخة بخطي في عشر مجلدات ونقلت منه إلى كتابي الموسوم بأخبار الشعراء فأكثرت ، وجمعت تراجمه فوجدته يعد بشيء ولا يفي به في غير موضع منه » (٢) وضرب الأمثال لذلك بحديثه عن أبي العتاهية وأبي نواس والأصوات المائة في الغناء

***

وهنا يحق لنا أن نتساءل : هل كان الأصفهاني في كتابه هذا يصور نفسه ويرسم إحساسه ومشاعره التي تربطه بأدباء عصره — كما فعل الثعالبي — ؟ الجواب : لا . لم يكن كذلك في شيء لأنه كان يؤرخ لا أكثر . كتب الأصفهاني كثيراً ولكنه لم يكتب غير التاريخ الأدبي الصامت . وملأ أسفاراً ولكنها لا تعدو أن تكون أخبار الأولين والمعاصرين من الشعراء . فهو أخباري من الطراز الأول ، ومحدث مستطرد أمين بكل ما في كلمة المحدث من معنى . ولكنه لم يرسل نفسه على سجية الأديب ، فيذكر رأيه أو يبدي لناقده فيمن يخبرنا عنهم

ولعلك حين تستعرض طريقة العرض عند الرجلين تقف على صدق ما ندعيه — فأنت ترى الأصفهاني حين يتحدث من الشاعر يصدر حديثه عنه بسلسلة طويلة من نسبه ، يستطرد فيها ما شاء له الاستطراد ، وقد يأتي فيها بالفريد المقبول وما كان يلذه السامعون في ذلك العصر حين كانوا يعنون بالأنساب ويتفاخرون بها . ولكن الاستطراد لا يقف به عند هذا الحديث الذي يوصله في حلقات النسب ، فيتجاوز النسب إلى ما وراءه وينتقل بك إلى الحديث عن شخص آخر قد لا يربطه بالسابق إلا محض الاستطراد . وهو رباط شكلي بحت — وهنا يذكر لك أشعاراً وقصصاً وروايات تتعلق بالشخص الجديد الذي أدار الحديث حوله . حتى إذا ما انتهى به المطاف عاد إلى صاحبه الأول الذي ترجم له ، فيحدثك عما وقع له من أحداث ، وقد تنتهي به هذه الأحداث الجزئية المتعلقة بصاحبه إلى الحديث عن تاريخ عصره وما كان فيه من عبر ومواقع ؛ ثم يحدثك آخر ذلك كله عن شعر صاحبه والأصوات التي غنيت من هذا الشعر ومالم يغن ومالم يعتبر من الأصوات المائة التي ذكرها في سائر كتابه . ويذيل الترجمة بخبر وفاة صاحبه إن كان في الاستطراد ما يناسب ذلك

فأنت ترى أن عنصر الاستطراد هو المنهج الأصيل في كتاب الأغاني وهو عين المنهج الذي استنه شيوخ الأدب العربي من قبل أبي الفرج . فالجاحظ (٢٥٥ ﻫ) وابن قتيبة (٢٧٦ ﻫ) وأبو علي القالي (٣٥٦ ﻫ) وغيرهم من عيون الأدب العربي شرع واحد في هذا المنهج . وقد أثبت المنهج العلمي الحديث أن منهج الاستطراد كان شائعاً في كتابات القوم وأساليبهم منذ فجر الحياة الأدبية في الجاهلية والإسلام وظل حتى أواخر القرن الرابع الهجري

***

ثم جاء أبو منصور الثعالبي في أواخر القرن الرابع وخرج للناس بمنهج جديد لم يسبق إليه ، حيث ترك صناعة الأدب على طريقة الاستطراد الذي شغف به القوم في حياتهم الأدبية . وأخذ يتحدث حديثاً منظماً من تراجم الشعراء والكتاب ، وهو

١ — الصاحب بن عباد لصاحب هذا المقال (تحت الطبع)
٢ — الأغاني — تصدير الجزء الأول ص ٣٤

شعراء من أشعارهم

عدى بن زيد العبادي

للاستاذ محمود عبد العزيز محرم

تتمة البحث

فأنت ترى عديا فى القصيدة السابقة تذكر الأكاسرة والقياصرة، وذكر قصة رب الحضر، وذكر قصة رب الخورنق، وهو يعرف أنهم جميعا قد ذهبوا، وألوت بهم الأيام كما تلوى ريح الصبا وريح الدبور بالأوراق الجافة، وقد كانت زاهية يوما، يانعة يوما، جميلة مبهجة للنفوس والقلوب يوما، وهذا هو ديدن الأيام، فمن يبقى على الدهر، ومن خلدته المنون؟

والحضر كان قصرا بين دجلة والفرات، وأخو الحضر الذى ذكره عدى هو الضيزن بن معاوية ملك تلك الناحية وسائر أرض الجزيرة حتى بلاد الشام. وقد أغار فأصاب أختا لسابور الجنود، وفتح المدن، وفتك بها. ثم إن سابور جمع له، وسار إليه، وأقام على الحضر أربع سنين لا يستقل منهم شيئا، حتى دلته النضيرة بنت الضيزن — وكانت صبيحة الوجه جميلة، وأحبت سابور حين رأته وأحبها — وأعانته، ففتح المدينة وقتل الضيزن يومئذ

والخورنق قصر النعمان بن الشقيقة. وسبب بنائه أن يزدجرد بن سابور كان لا يبقى له ولد، فسأل عن منزل مرئ صحيح من الأدواء والأسقام، فدل على ظهر الحيرة. وكان عامله فى الحيرة على أرض العرب النعمان بن الشقيقة. فأمره أن يبنى الخورنق مسكنا له ولابنه بهرام جور وينزله إياه معه. وكان الذى بنى الخورنق رجلا يقال له «سنمار»، فلما فرغ من بنائه عجبوا من حسنه وإتقان عمله، فقال لهم لو علمت أنكم توفونى أجرى وتصنعون بى ما أستحقه، لبنيت بناء يدور مع الشمس حيثما دارت، فكرهوا منه تقصيره وأمروا به فطرح من أعلى الجوسق

وقد تناول الشعر قصة سنمار هذه، وضربه مثلا للرجل المجحود الفضل المنكر الجميل، فقال أبو الطمحان القينى:

جزاء سنمار جزوها، وربها ... وللات والعزى، جزاء المكفر

وقال سليط بن سعد عن أبى الغيلان وبنيه حين جحدوه فضله وجميل فعله، وقد أخذ منه الكبر:

جزى بنوه أبا الغيلان من كبر ... وحسن فعل كما يجزى سنمار

وقال آخر وقد جوزى بسوء، يدعو على من أساء إليه بعاقبة كعاقبة سنمار:

جزانى جزاه الله شر جزائه ... جزاء سنمار، وما كان ذا ذنب
سوى رصه البنيان عشرين حجة ... يعلى عليه بالقراميد والسكب (١)

ورب الخورنق أعجبه قصره حين أشرف من أعلاه يوما وسره ماله وكثرة ما يملك، والبحر يجرى عريضا من تحته،

(١) القرميد: الآجر: يطلى به كالجص ونحوه، والسكب: النحاس أو الرصاص

لا يحدثك عن شعراء هذا العصر وكتابه ككل لا يتجزأ؛ وإنما يحدثك حديث العارف بالبيئة وآثارها فى الأدب فيقسم بلاد المشرق إلى أقاليم مختلفة متباينة، ثم يحدثك عمن بهذا الإقليم من الشعراء والأدباء والكتاب

وهو حين يضع كتابه يتيمة الدهر يضرب أمامنا مثلا رائعا لم يسبق إليه فى تأريخ الأدباء؛ مثلا لا زلنا نحن معاشر المحدثين نعده متحررا طريفا فى بابه ولا سيما من الوجهة الفنية فى تاريخ الأدب، فكتابه المذكور لا يعتبر كتابا فى تاريخ الأدب فحسب بل هو تاريخ أدبى إقليمى مستقل يتحدث فيه صاحبه عن الحياة الأدبية ورجالها فى الدول الإسلامية الشرقية فى القرن الرابع

«له وضوع بقية»

حامد حفنى داود الجرجاوى
ماجستير فى الأدب
وأستاذ العربية وطرق التدريس
بالمعلمين الريفية

والفلاح ، والملك ، والنعمة ؛ حين رأى كل ذلك وتبصر فيه ارعوى قلبه ، وفكر في فنائه وفناء الإنسان . ويقال إنه نزل من الجوسق وانطلق إلى الصحراء ولم يعثر له على خبر

فعدى بن زيد كان يعرف الشيء الكثير . وكان يميل إلى أن يفلسف ما يعرفه ويستنبط منه القواعد العامة والنتائج المحتومة . فرأى الكبراء والعظماء والآثار تحور إلى وادي الفناء، ورأى أن الملك لا ينفعه ملكه ، والحصن لا يحمي سيده ، والقصر لا تدوم مسراته ونعماؤه ، ورأى أن كل حي إلى الفناء يصير ، ورأى أن الخاتمة هي الهلاك والانطفاء ، ورأى أن المنون يترصد للناس ، ورأى أن الزمان لا يبلغ الإنسان ما يشتهيه ويأمله، فانطوت نفسه على آماله ومطامعه بائسة محزونة ، وعرض هذا كله في شعره

وقد أثرت حوادث الزمان في عدى بن زيد تأثيرا كبيرا . وكان هو ميالا إلى استخلاص الحقائق الدائمة من هذه الحوادث العارضة . وهو في هذه الأبيات التالية يقدم لنا عصارة حياته وخبرته المستمرة بالحياة وأبنائها :

فنفسك فاحفظها عن الغي والردى
متى تغوها يغو الذي بك يقتدي
وإن كانت النعماء عندك لامرئ
فثلاً بها فاجز المطالب وازدد
إذا ما امرؤ لم يرج منك هوادة
فلا ترجها منه ، ولا دفع مشهد
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدي
إذا أنت فاكهت الرجال فلا تلع (٢)
وقل مثل ما قالوا ولا تتزيد
إذا أنت طالبت الرجال نوالهم
فعف ولا تأت بجهد فتنكد
ستدرك من ذي الفحش حقك كله
بحلمك في رفق ولما تشدد
وبالعدل فانطق إن نطقت ولا تلم
وذا الذم فاذممه وذا الحمد فاحمد
ولا تلح (٣) إلا من ألام ولا تلم
وبالبذل من شكوى صديقك فافتد
عسى سائل ذو حاجة إن منعته
من اليوم سؤلا أن ييسر في غد
وللخلق إذلال لمن كان باخلا
ضنينا ، ومن يبخل يذل ويزهد

هذه الحكمة الرائعة إنما هي خلاصة تجارب عدى في حياته بعد أن بلا مر الناس ومر الأيام ، وبعد أن لم تحقق له الأيام ما يصبو إليه ، وبعد أن تبصر في مصير الناس — فقراء وأغنياء — بعد هذا كله ، وبعد أن كون رأيا عاما وفلسفة كاملة ، لم ير خيرا من هذا الذي قدمه لنا في أبياته السابقة . وهي فلسفة تحنو على الضعيف ، وتدعو إلى الرفق والحلم ، وتعترف بتقلبات الأيام واختلاف الحظوظ ، وترى أن أخذ الحياة بالجد والحيطة أتم وأوفق ، وترى أن تكافيء الإحسان بالإحسان ، وأن تؤدب نفسك ، وتحفظها من الغي والضلالة . والمعنى السارب في هذه الأبيات كلها هو كف النفس وأخذها بالحكمة والحزم والحذر

وكان طواف عدى بالبلاد نعمة عليه ونقمة أيضا . نعمة عليه لأنه اتسعت مداركه ، وعرف كثيرا ، وأحاط بكثير من أحوال الملوك والدول ، وصقل نفسه وهذب عواطفه . ونقمة لأنه عرف كنه كثير من الأشياء، وعرف اختيان الناس بعضهم بعضا ، وعرف كثيرا من الأحوال الشجية والمبكية ، وهذا جعله يسيء الظن بالأيام وبالناس ، فاصطبغت نظرته إليهما باليأس والقنوط. ونقمة لأن خلاطه بالناس، واختلافه إليهم واختلافهم إليه ، وهم ذوو ألسنة متعددة ولغات متباينة وثقافات مختلفة ، أثر في مربيته إلى حد دعا إلى الاحتراس منه . لأن طول العشرة ودوام المخالطة يدعوان الانسان — رضا أو كراهة — أن يأخذ من مخالطيه ومعاشريه كثيرا ، يأخذ من عاداتهم وآدابهم ،

٢) لا تكذب

٣) لا تلم من لحا يلحو

ويتأثر بأذواقهم ، وبنحو منحاهم ، ويميل إلى ما يميلون إليه ، وقد يستعير منهم بعض ألفاظهم ، ويصوغ على أساليبهم ، فتتأثر بذلك لغته ، ويدخلها وهن لم تكن تعرفه من قبل

وهذا ما حدث لعدى بن زيد . وهو نفسه ما دعا ناقدى العرب إلى التنبيه إليه والاحتراس منه ، فهم قد انتقصوه وحذروا من الاحتجاج بشعره ، وذلك لخلطه بكثير من غير العرب من الفرس والروم

فعدى « كان يسكن الحيرة ، ويدخل الأرياف ، فثقل لسانه واحتمل عنه شئ كثير جدا ، وعلماؤنا لا يرون شعره حجة »

وهو « شاعر فصيح من شعراء الجاهلية . وكان نصرانيا . وكذلك كان أبوه وأمه وأهله . وليس ممن يعد فى الفحول . وهو قروى . وكانوا قد أخذوا عليه أشياء عيب فيها . وكان الأصمعى وأبو عبيدة يقولان . عدى بن زيد فى الشعراء ، بمنزلة سهيل فى النجوم ، يعارضها ولا يجرى معها مجراها »

ومما يعاب عليه من شعره قوله داعيا النعمان إلى الصفح عنه :

أجل نعمى ربها أولكم ودنوى كان منكم واصطهارى

يدعو النعمان إلى الصفح عنه من أجل نعمة قد تعهدها آباء النعمان ، ومن أجل قربه منهم ، ومن أجل مصاهرته إياهم . والمقصود من الاصطهار هنا المصاهرة . ولكن كتب اللغة لم تذكر لاصطهر معنى سوى ما جاء فى قولهم : « اصطهره أى أذابه وأكله » ولو قال « وصهارى » لصح المعنى واتزن البيت (٤) »

وذكر بعض الفارسى فى شعره ، وذلك حين وصف السحاب المتراكب ، فوق رأس شيب ، والبرق فى السحاب يلمع لمعان السيوف ، ويظهر صفحة الثوب المصون :

أرقت لمكفهر بات فيه بوارق يرتقين رؤوس شيب
تروح المشرفية فى ذراه ويجلو صفح دخدار قشيب

والدخدار الثوب المصون وهو فارسى معرب ، وأصله تخت دار

وهم يعدون من شعره أربع قصائد غرر :

الأولى يقول فيها :

أيها الشامت المعير بالدهـ ـر أأنت المبرأ الموفور ؟
أم لديك العهد الوثيق من الـ أيام ؟ بل أنت جاهل مغرور !
من رأيت المنون خلدن أم من ذا عليه من أن يضام خفير ؟

وفى الثانية يقول :

أعاذل ما يدريك أن منيتى إلى ساعة فى اليوم أو فى ضحى الغد
ذرينى فإنى إنما لى ما مضى أمامى من مالى إذا خف عودى
وحمت لميقاتى إلى منيتى وغودرت إن وسدت أو لم أوسد
وللوارث الباقى من المال فاتركى عتابى فإنى مصلح غير مفسد

ومن الثالثة :

لم أر مثل الفتيان فى غبن الـ أيام يدرون ما عواقبها

ومن الرابعة :

طال ليلى أراقب التنويرا أرقب الليل بالصباح بصيرا

ومن المعانى معان مجدودة ، تسير من مكان إلى مكان ، وتتناقلها الألسنة ، من هذه المعانى المجدودة المعنى الذى أورده عدى بن زيد فى قوله :

لو بغير الماء حلقى شرق كنت كالغصان بالماء اعتصارى

فقد ورد على لسان الأحنف بن قيس فى قوله :

« من فسدت بطانته كان كمن غص بالماء . ومن غص بالماء فلا مساغ له . ومن خانه ثقاته فقد أتى من مأمنه »

وقال العباس بن الأحنف :

قلبى إلى ما ضرنى داعى يكثر أحزانى وأوجاعى
كيف احتراسى من عدوى إذا كان عدوى بين أضلاعى

وقال آخر :

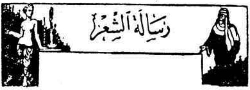
كنت من كربتى أفر إليهم فهم كربتى فأين الفرار !

وقال غيره :

إلى الماء يسعى من يغص بريقه فقل أين يسعى من يغص بماء

محمود عبد العزيز محرم

(٤) راجع الأغانى . الجزء الثانى . طبع دار الكتب . ص ١١٤ (الحاشية)



في انتظار الصباح

للأستاذ أحمد أحمد العجمي

في انتظار الصباح الربا والبطاح
والسهول الفساح والندى والأقاح
وثغور الملاح والوجوه الصباح
كلها في انتباه تستحث الحياه
هامسات الشفاه تحسب الفجر تاه
والدياجي فلاه أين منها النجاه؟
والليالي جراح نام عنها الأساه
في انتظار الصباح

• • •

ضاق ليلي وطال بالأسى والملال
أين طيف الخيال؟ في ضفاف الجمال
كمنا الفجر جال في شعاف الجبال
غردي يا طيور واسمعي يا وكور
وارقصي يا زهور للندى والعبير
عند شط الغدير صاح فيه الخرير:
ذلك الفجر لاح من وراء الستور
في انتظار الصباح

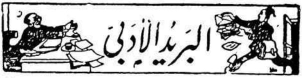
أحمد أحمد العجمي

يا شعر

للأديب كيلاني حسن سند

يا شعر، يا لحن القلوب، ويا نشيد الحائرين
يا نغمة جادت بها .. قيثارة الزمن الضنين
يا فتوة، طفحت بها .. كأس الصبابة .. والحنين
يا رعشة القلب الجريح، ويا صدى الروح الحزين
يا موجة غسلت جراحات الفؤاد من الأنين
يا وحي ليلي، والحياة يلفها حولي السكون
يا ابن الضلوع الحانيات على المواجع والشجون
يا دفقة الشوق الحبيس، وصرخة الأمل السجين
يا واحة بين الضلوع تنضرت فيها الغصون
آوي إليها — في الهجير — فأستريح وأستكين
يا من عصرتك من دمي لحنا فأنت له جنين
يا مشعلا بيدي يضيء لي الطريق فيستبين
لولاك يا شعري للذت من المواجع بالمنون
ولقلت: ثوري يا رياح، وحطمي هذا السفين
عمري سواك نفاية في الأرض تحقرها العيون
الركب يضرب في الدجى وأنا مع المتخلفين
القانعين من الربيع، من الخمائل، بالدرين
الناظرين إلى المواكب وهي تستبق السنين
الناهلين من السراب، من الغواية، والمجون
الزارعين بوهمهم زهر الوساوس والظنون
العابدين رؤى الجمال، العازفين له اللحون
الساهرين وما غفوا .. حتى تقرحت الجفون
الراكضين مع النجوم، وهم على السفح المهين
لكن لأجلك قد رضيت وقد قنعت بما يهون
وتركت دنياي الحبيبة للشباب .. الكادحين
وشللت كفي عن مناي وعشت في كهف الفنون
أبكي وأضحك عازفا لحن المسرة والأنين

كيلاني حسن سند



مأساة عربية :

هذه قصة من صميم الواقع أنقلهـا إلى القراء الكرام كما رواها لى صديق شاعر كان قد زار شرق الأردن وبعض الأقسام العربية من فلسطين التى ضمت إلى الأردن مؤخرا ، وليس لى فيها سوى الرواية . قال محدثى ونحن جلوس فى «مقهى الزهاوى» (١) ببغداد نتسمع إلى آخر الأنباء فى السياسة الدولية : —

عند طوافى شرق الأردن بصحبة زعيم فلسطين زرنا مدينة نابلس . وفى الطريق مررنا باللاجئين العرب الذين شردتهم السياسة اللعينة من ديارهم وكانوا يسكنون الخيام بمجموعتهم الغفيرة ، وهم حفاة بألبستهم المهلهلة القذرة ، وقد أردت أن أستفسر عن حالهم من صديق الفلسطينى فأخبرنى أنه يريد أن يرينى صورة صادقة ، ثم جذبنى من يدى ودفع باب إحدى الخيام المبثوثة فى طريقنا ودخل وأنا وراءه . وبعد السلام وإبداء التحية هتف صديق ، قومى يا « فلانة » لاستقبال صديقنا هو عربى عراقى جاء يستفسر منك لينقل لإخواننا العرب فى شتى الأقطار حالتكم . وما فرغ من كلامه حتى شرقت الفتاة بالدمع وهى تحتضن طفلا صغيرا بجانبهـا وكانت فتاة فى أوج أنوثتها وشبابها ، فلم أتمالك نفسى من التأثر ، فأخرجت من جيبى بعض المال وسلمته إلى الطفل وخرجت وأنا ألعن الجامعة العربية وحكوماتنا على هذه السياسة اللعينة التى جلبت علينا العار والشنار ، وفى الطريق روى صديق الفلسطينى قصة هذه الفتاة قال :

— هذه « فلانة » بنت « فلان » وهو من كبار شخصيات فلسطين تخرجت من جامعات بريطانيا ، كانت تملك من الأرض وبيارات الفواكه مالا يحصر ، استشهد أبوها وأخوها الأكبر فى إحدى الوقائع ، أما أمها فقد ماتت كدا ، ولم يبق لها غير هذا الطفل وهو أخوها الصغير ، وعندما استولى اليهود على فلسطين أصبحت هذه الآنسة الثرية لاجئة تعيش على الصدقات ! فهل من مأساة أبشع وأفظع من مأساة هذه العربية ؟!

فقلت وأنا أشرق بدموعى : لتحل علينا اللعنة ما دامت عجلة الحياة تدور

هذه القصة انقلها إلى القراء ، تاركا لهم التعليق وللجامعة الفخر والتبجح بالماضى المجيد

عبد القادر رشيد الناصرى

(١) مقهى الزهاوى فى بغداد أشبه ما تكون بناد يؤمه الأدباء والشعراء وسمى باسم الشاعر العراقى تخليدا لذكراه لأنه كان من رواده

تصويب أخطاء

منذ يومين قرأنا فى العدد ٩٧٣ من مجلة « الرسالة » الغراء مقالا للدكتور محمد بهجت تحت عنوان (امرأتان عظيمتان من دولة المغول) . وقد وقع فى هـذا المقال القيم أخطاء من جهة نقل الأسماء لبعض الأعلام . وغالب الظن أن منشأ هذه الأخطاء عدم معرفة الدكتور الفاضل الفارسية ، ولعله أخذ معلوماته من بعض ما قرأ من الكتب الانكليزية . بلى نذكر ما جاء فى هذا المقال من الأخطاء معقبين عليها بالتصحيح

١ — « نور جاهان » أصل الكلمة « نورجهان » ومعناها نور العالم ، فإن كلمة « جهان » معناها العالم بالفارسية

٢ — « على كولى » أصل الكلمة « على قلى »

٣ — « شر أفغان » أصل الكلمة « شير أفكن » أى مصارع الأسد ، فإن شير معناه الأسد وأفكن معناه المصارع

٤ — « جاهان جير » أصل الكلمة « جهان كير » أى القابض على العالم ، فإن « جهان » معناه العالم « وكير » معناه القابض . وما كانت كلمة « جهان كير » هذه كنية للملك نور الدين وإنما كانت لقبا لقب بها نفسه عند اعتلائه عرش المملكة ، شأن غيره من الملوك المغوليين فى الهند

٥ — « كرام » أصل الكلمة « خرم »

٦ — « بارفز » أصل الكلمة « برويز »

٧ — « دلكوشا » أصل الكلمة « دل كشا » أى فاتح القلب

٨ — « شاه دارا » أصل الكلمة « شاهدره »

باكستان محمد عاصم الحداد

لسان العرب بين ابن سينا وابن منظور

جاء في تحقيقك للشيخ ابن سينا أنه ألف لسان العرب ، والذي أعلمه أن الذي ألف لسان العرب هو « ابن منظور الأفريقي »

عبد الله مرسي الطحاوي

(الرسالة) لسان العرب الذي ألفه ابن سينا غير لسان العرب الذي ألفه ابن منظور . نقل القفطي في كتابه (إخبار العلماء بأخبار الحكماء) عن عبيد الجوزجاني صاحب الشيخ الرئيس قوله : « صنف الشيخ في اللغة كتابا سماه بلسان العرب لم يصنف في اللغة مثله ، ولم ينقله إلى البياض حتى توفي ، فبقي على مسودته لا يهتدي أحد إلى ترتيبه »

العيد الألفي للجامع الأزهر :

تلقت مشيخة الأزهر رغبة ملكية كريمة خاصة بالاحتفال بالعيد الألفي للجامع الأزهر ، احتفالا يليق بمكانة هذه الجامعة العلمية الإسلامية التاريخية بين جامعات الأمم المتحضرة وبرسالتها الدينية الكبرى في مختلف الأزمنة والعصور

وقد تضمنت هذه الرغبة السامية أن يكون الاحتفال بهذا العيد عالميا تشترك فيه الشعوب الإسلامية ، لأن رسالة الأزهر قد شملت هذه الشعوب جميعا ولا يزال الأزهر يستقبل من أبنائها من ينهلون من معينه ليعودوا إلى بلادهم وأممهم رسل حضارة ودعاة هداية وارشاد . وتشترك فيه كذلك الجامعات العلمية في مختلف الأمم بوصف كونه جامعة علمية ساهمت بالنصيب الموفور في تغذية العقل البشري برسالة المعرفة

وقد عكف فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، تنفيذا لهذه الرغبة الكريمة ، على دراسة هذا الموضوع منذ بدايته حتى اليوم ، وأمر بإعداد مذكرة تشتمل على بيان المقترحات التي سبق أن وضعت في صدد هذا الاحتفال في مختلف مراحل التفكير فيه ، والإعداد له ، وبخاصة تلك المقترحات التي وضعت في عهد المغفور له فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي يوم كان شيخا للجامع الأزهر

وقد علمنا أن هناك اتجاها يرمي إلى وضع تاريخ مفصل لما درس من أمهات الكتب الاسلامية في الأزهر ، في مختلف العصور ، مع بيان الطريقة التي يمتاز بها كل عصر على حدة ، في نظام الدرس والتدريس ، ومع وضع دراسة خاصة للاعلام من الفقهاء والأئمة المسلمين الذين ألفوا هذه الكتب أوساهموا في شرحها أو التعليق عليها ، في مناسبة هذا الاحتفال التاريخي الكبير

وكذلك يرمي هذا الاتجاه إلى وضع تاريخ شامل للمذاهب الإسلامية الأربعة ، كل مذهب منها على حدة ، مع بيان المسائل المشتركة بين هذه المذاهب والمسائل التي اختلف عليها ، وتوضيح ظروف هذا الاختلاف

والغاية التي يهدف إليها هذا الاتجاه هي أن يكون هذا المهرجان الإسلامي التاريخي مقترنا ببيان حقيقة الغاية من رسالة الإسلام في مختلف النواحي والوجوه

وسترفع هذه المذكرة إلى فضيلة الأستاذ الأكبر ليتخذ فضيلته على ضوء ما فيها من البيانات الخطوة التنفيذية الأولى نحو تنفيذ هذا المشروع الكبير

ويقال إن هذه الخطوة التنفيذية ستكون في أن يؤلف فضيلة الأستاذ الأكبر لجنة عليا من بعض جماعة كبار العلماء وبعض كبار المشتغلين بالعلوم العربية والدينية في الجامعات المصرية وغيرها من مختلف المعاهد الأخرى ، وسيكون لهذه اللجنة أن تؤلف لجانا لدراسة مختلف الموضوعات كما تشاء

لغة الشاشة :

لاحظت أثناء عرض الجريدة الأخبارية على الشاشة البيضاء أن اللغة التي تصحب العرض لا تراعى فيها القواعد النحوية ، فقد ينصب الفاعل أحيانا .. وقد يرفع المفعول أحيانا أخرى .. وهذا نقص نوجه إليه عناية المسئولين ، لأن هذه الجريدة الاخبارية تعرض في أكثر من بلد عربي .. فماذا عساهم يقولون عنا .. ونحن نأبى إلا أن نتبوأ الصدارة من أمم الضاد ! ...



الباب المفتوح

للكاتب الانجليزى الكبير « الساقى » (*)

— ستحضر خالتى فى الحال يامستر « نتـل » ، ولكن يجب فى الوقت نفسه أن تجتهد فى إنهاء حديثك معى

بهذه الـكلمات بادرت الفتاة ضيفها عندعودتها إلى غرفة الاستقبال، حيث كانت قد تركته ريثماتذهب لإخبار خالتها بقدومه: وفتاتناصبيةرزينةلم تتجاوز الخامسة عشرةمن سنيها

وحاول فرامتول نتل أن يتخير الكلمات اللائقة التى يستطيع أن يرضى بهـا ابنة الأخت الماثلة أمامه دون أن يكون فى هـذه الكلمات مالا يرضى بغير مقتضى ، الخالة التى ستحضر بعدقليل، وقد شك الفتى بينه وبين نفسه أكثر ممـا شك فى أى وقت مضى ، فيما إذا كانت هـذه الزيارات الرسمية التى يتقدم بها إلى سلسلة من العائلات التى لا تربطه بها أية رابطة على الإطلاق ، سيكون لهـا أثر فعال فى علاج مرض الأعصاب المفروض أنه مصاب به … فقد قالت له أخته وهو يتأهب لرحلته الريفية :

— أنا عالمة بما ستكون عليه رحلتك ! فلسوف تدفن نفسك حيث لا تتحدث إلى مخـلوق من الأحياء ، وعنـدئذ تضاعف الكآبة مرض أعصابك ؛ وها أنا أكتب فى الحال خطابات توصية أقدمك بهـا إلى جميع الذين أعرفهم هناك . ولقد كان بعضهم ، على ما أذكر ، وديعاً ظريفاً

تذكر فرامتون كلمات أخته وتساءل فى نفسه : ترى مسز

(*) « الساقى » أو « ساكى » كما تنطق بالانجليزية هو الاسم المستعار الذى تخيره الكاتب الانجليزى الكبير هكتور هيوغ مونرو لتوقيع مقالاته وقصصه العديدة التى نشرت فى الصحف والمجلات الانجليزية . وقد تخير هذا الاسم من إحدى رباعيات عمر الخيام التى يخاطب فيها (الساقى) بقوله : « إذا مررت أيها الساقى بالرفاق المنتثرين على الأعشاب انتثار النجوم الخ »

« وقد ولد مونرو فى بورما سنة ١٨٧٠ وماتت أمه وهو فى السنة الأولى من عمره فنقله أبوه هو وأخويه إلى نورث ديفور ليعيشوا بين جدتهم وعمتهم . وقتل مونرو فى فرنسا سنة ١٩١٦ فى إحدى معارك الحرب الكبرى . وله كثير من القصص القصيرة والمقالات النقدية البارعة . وقصة (الباب المفتوح) التى نترجها هنا هى إحدى قصصه القصيرة الطريفة »

كثيرا ما طرأت هذه الأخطاء اللغوية أذنى فآلمتنى .. ولا شك أن الغيورين على اللغة يشاركوننى رأيى .. ويضمون أصواتهم إلى صوتى ! ..

إن المخرجين يبذلون عنـاية كبرى فى إخراج هذه الأفلام ، ويولونها جانبا غير قليل من جهودهم .. فياحبذا لو ظفرت لغة العرض بمثل هذه العناية والرعاية ! …

عيسى متولى

كاف التشبيه :

يضع كثير من الأدباء حرف الـكاف فى غير موضعه فيقلب المعنى إلى النقيض وهم لا يشعرون . من ذلك مثـلا أن الأديبة بنت الشاطئ نشرت كلمة فى أهـرام ٣ / ٤ / ١٩٥٢ وردت بها هذه العبارة « تخرج الفتاة بشهادة تبيح لها احتراف التمريض والتدليك كوسيـلة للرزق » وتريد أن تنتقد اتخاذ هذا الفن وسيلة للرزق فقط ، مع أن هذا التعبير لا يؤدى المعنى الذى ترمى إليه ؛ إذ أن الـكاتبة تعلم كل العلم أن التشبيه يقتضى أن يكون المشبه غير المشبه به ، ولا يمكن أن يستقيم المعنى مع هذا الوضع ، بل يستقيم تمام الاستقامة إذا قالت « وسيلة للرزق » أى بحذف الـكاف

إن فشو هذا الخطأ بين خاصة الأدباء اضطرنى إلى أن انبه إليه حتى وأنا بسبيل البحث فى تيسير الـكتابة ، فلقد أشرت إليه فى تقريرى الذى رفعته منذ بضع سـنين إلى المجمع اللغوى خاصا بتيسير الكتابة العربية ، حتى لا يظن ظان أن إجازة الخطأ نوع من التيسير ، وإلا كنا كمن نادى بنصب جمع المؤنث السالم بالفتحة زاعما أن فيه تيسيرا كبيرا ، والواقع — كما قلت فى تقريرى هذا — أنه هدم لقواعد اللغة من أساسها ولا يمت إلى التيسير بصلة قريبة أو بعيدة

عبد الحميد عمر

سابلتون التي سيتقدم إليها بعد لحظة بأحد خطابات التوصية التي يحملها ، تدخل في نطاق هذا البعض الوديع الظريف »

وإذ لاحظت الفتاة الرقيقة أن فترة السكوت قد طالت بينها وبين الزائر الغريب سألته :

— أتعرف كثيرين من أهل هذه الناحية ؟

فأجاب :

— أكاد لا أعرف أحداً هنا . وقد كانت أختي كما تعلمين ، مقيمة هنا في الأبرشية منذ حوالي الأربع السنوات ، وقد أعطتني خطابات توصية لفريق من أهل هذه الناحية ...

وصاغ الفتى كلماته الأخيرة في لهجة تنم عن الأسف

فتابعت الفتاة الرزينة حديثها قائلة :

— إذن أنت تكاد لا تعرف شيئاً إطلاقاً من أمر خالتي ؟

فأجاب الفتى :

— لا أعرف غير اسمها وعنوانها

فهو لا يدري إذا كانت متزوجة أو أرملة . ولكن شيئاً في الغرفة لا يستطيع أن يتبينه على التدقيق كان يوحي إليه بأن في البيت رجالا ... على أن الصبية لم تلبث أن قالت :

— لقد نزلت بخالتي مأساتها الكبيرة في مثل هذا اليوم منذ ثلاث سنين كاملة ، ويوافق ذلك الوقت الذي غادرت فيه أختك هذه الجهات

فسأل الفتى وهو لم يكن ليتصور أن المآسي تجد طريقها إلى مثل هذا المكان الهادئ المطمئن :

— تقولين مأساتها ؟

فقالت الفتاة وهي تشير إلى أحد الأبواب المطلة على الشرفة وكان مفتوحاً :

— قد يدهشك أن ترى هذا الباب مفتوحاً في مساء يوم من أيام شهر أكتوبر كيومنا هذا ؟

فأجاب فرامتون :

— إن الجو دافئ بالنسبة لهذا الفصل من السنة ، ولكن هل لهذا الباب أي علاقة بالمأساة التي تشيرين إليها ؟

فشرعت الفتاة تحكي القصة الآتية :

في مثل هذا اليوم منذ ثلاث سنوات خرج من هذا الباب زوج خالتي وأخواها الأصغر منها سناً ليصيدوا الطير على عادتهم اليومية ، ولكنهم لم يعودوا من رحلتهم ، لأنه عند اجتيازهم المستنقع للوصول إلى الميدان المفضل عندهم لصيد البكاشين ساخت أقدامهم في بقعة خادعة من الأرض اللينة ، حدث هذا في ذلك الصيف الذي كثرت أمطاره، على ما تعلم، حتى إن الأماكن التي كانت مأمونة في السنوات الأخرى لم تقو على الثبات فانهارت ، وقد اختفت أجسامهم ولم يقف لها أحد على أثر ، وهذا هو أفظع ما في المأساة

وما وصلت الفتاة إلى هذه النقطة من قصتها حتى فقد صوتها ما فيه من رنة الثبات وغلب عليه التأثر ، ثم مضت تقول :

— مسكينة خالتي لا تنفك تتصور أنهم سيعودون يوماً ما ومعهم كلبهم الأسود الصغير الذي ساخ معهم أيضاً ، وأنهم سيدخلون البيت من هذا الباب كما تعودوا أن يفعلوا كل يوم . وهذا هو السبب في تركه مفتوحاً كل مساء إلى أن يهبط الغسق . وما أتعس خالتي العزيزة، فلكم كررت على سمعي قصة خروجهم، إذ كان زوجها يحمل معطف المطر الأبيض على ساعده ، بينما روني أخوها الأصغر ينشد أغنية : « لماذا تثب يا برتي » ، كما كان يفعل دائماً ليغيظها فقد كانت تقول إن هذه الأغنية تهز أعصابها ، ولا أخفي عليك يا سيدي ، أنني في بعض الليالي الساكنة الهادئة مثل هذه الليلة ، يتسرب إلى نفسي غالباً شعور خفي بأنهم جميعاً سيعودون إلينا من خلال هذا الباب ... »

ووقفت الفتاة فجأة عن الكلام مضطربة بعض الشيء ، وأحس فرامتون بالفرح عندما دخلت الخالة الغرفة تسوق أمامها سلسلة من المعاذير لتأخرها في إصلاح زينتها وقالت :

— أرجو أن تكون « فيرا » قد سلتك بحديثها ؟

فقال فرامتون .

— لقد كان حديثها جد شائق

وقالت مسز سابلتون في نشاط وخفة :

— أرجو ألا يضايقك فتح هذا البـــاب ، فإن زوجي وأخوي على وشك أن يعودوا من الصيد ، وقد تعودوا أن

يدخلوا دائماً من هذا الباب ، وقد خرجوا اليوم لصيد البكاشين فى البرك ، وما من شك فى أنهم متى عادوا تركوا على سجاجيدى السكينة آثار ما تحمل أقدامهم من أوحال ، وهذا شأنكم أيها الرجال ؛ فهل توافقنى على ذلك ؟ »

ومضت تتحدث فى انشراح عن الصيد وعن ندرة الطيور ، وبخاصة البط فى فصل الشتاء ، ولقد بدا هذا الحديث لفرامتون مزعجاً فظيعاً ، فحاول جاهداً أن يحوله إلى مجرى أقل فظاعة وهولا ، فلم ينجح فى ذلك إلا بعض النجاح ، وقد تبين أن مضيفته لا توليه من عنايتها إلا جزءاً جد يسير ، ولكن نظراتها كانت تتخطاه إلى الباب المفتوح وإلى ما وراءه من حقول ومستنقعات . فما من شك فى أن زيارته هذه الأسرة فى مثل هذه الذكرى المؤلمة لم تكن إلا مصادفة جد سيئة

وصور الوهم لفرامتون أن القوم الغرباء الذين يجتمع بهم والذين هم معارف الصدفة ، عطاش إلى تعرف أقل ما يمكن من التفصيل عن مرضه وعلته ووسائل شفائه فقال :

— لقد اتفق الأطباء فى أمرهم لى بأن ألزم الراحة التامة وأن أتجنب الانفعالات النفسية ، وأن أبتعد من كل شئ يتصل بالمجهود الجسمى ، ولكنهم غير متفقين اتفاقاً تاماً فيما يتصل بمسألة الغذاء

فقالت مسز سابلتون :

— ألم يتفقوا ؟

وكان صوتها فى هذا السؤال صوت الذى جاهد التثاؤب فى اللحظة الأخيرة . ثم لم تلبث أن ابتهجت فجأة وبدا عليها مظهر التنبه الشديد ... غير أن هذا التنبه لم يكن لحديث فرامتون . ثم صاحت :

ها هم قد عادوا آخر الأمر فى الوقت المناسب لشرب الشاى . ألا يبدو عليهم أن الأوحال تغطيهم إلى رؤوسهم ؟

فارتجف الفتى ارتجافاً خفيفاً ، ثم نظر إلى ابنة الأخت نظرة تحمل معنى الإشفاق . وكانت الطفلة تحدق من خلال الباب المفتوح ، وفى عينيها معنى الرعب الخاطف : فدار فرامتون فى مقعده وقد أحس بصدمة مرعشة من جراء خوف لا يدرك معناه ونظر إلى حيث تنظر الفتاة

فرأى خلال الغسق الهابط ثلاثة أشخاص يجتازون الحقل إلى الباب المفتوح ، وكانوا جميعاً يحملون البنادق على سواعدهم ، وكان أحدهم يحمل ما عدا البندقية معطفاً أبيض من معاطف المطر ألقاه على كتفه ، وكان يتعقب أقدامهم كلب صغير أسود تبدو عليه مظاهر التعب . واقترب هذا الجمع فى سكون من البيت ، وإذا بصوت فتى أجش يغنى فى الغسق :

« إنى أسألك يا برتى لماذا تثب ؟ » .

لم تكد عين فرامتون تقع على هذا المنظر حتى أمسك فى عنف بعصاه وقبعته ، وفى أسرع من لمح البصر كان قد اجتاز باب الردهة والممر المرصوف والباب الخارجى كأنه السهم المارق ، حتى أن رجلا مقبلا على دراجة لم يتق التصادم به إلا فى اللحظة الأخيرة منحرفاً فجأة إلى السور

ودخل القادمون من الباب المفتوح وقال حامل المعطف الأبيض :

— ها نحن يا عزيزتى قد عدنا ملوثين بالأوحال ولكن أكثرها جاف . ولكن من هو هذا الرجل الذى اختفى لمجرد ظهورنا ؟

فقالت مسز سابلتون :

هو رجل غريب الأطوار جداً اسمه مستر (نتل) لا يستطيع أن يتكلم إلا عن مرضه ، ولم يكد يراكم حتى اندفع إلى الباب خارجاً دون أن يأتى بكلمة وداع أو عبارة اعتذار ، حتى لكأنه قد رأى شبح عفريت مخيف

فقالت ابنة الأخت فى هدوء :

— أظنه قد خاف الكلب ، فقد خبرنى أن بعض الكلاب الضالة هاجمته مرة وطاردته حتى ألزمته الهرب منها إلى مقبرة فى ناحية ما على ضفة نهر الجنج ، وقد اضطر أن يقضى الليل فى قبر جديد لم يدفن فيه أحد بينما الكلاب من فوقه تنبح مكشرة عن أنيابها ، وفى ذلك ما يكفى لهز أعصاب أى إنسان

لقد كان من خصائص فتاتنا الرزينة اختراع الروايات على البديهة !

الجزء الثالث من

وحي الرسالة

فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع
والقصص

للاستاذ أحمد حسن الزيات بك

طبع طبعاً أنيقاً على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته أربعمائة صفحة ونيفاً

وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

مطبعة الرسالة